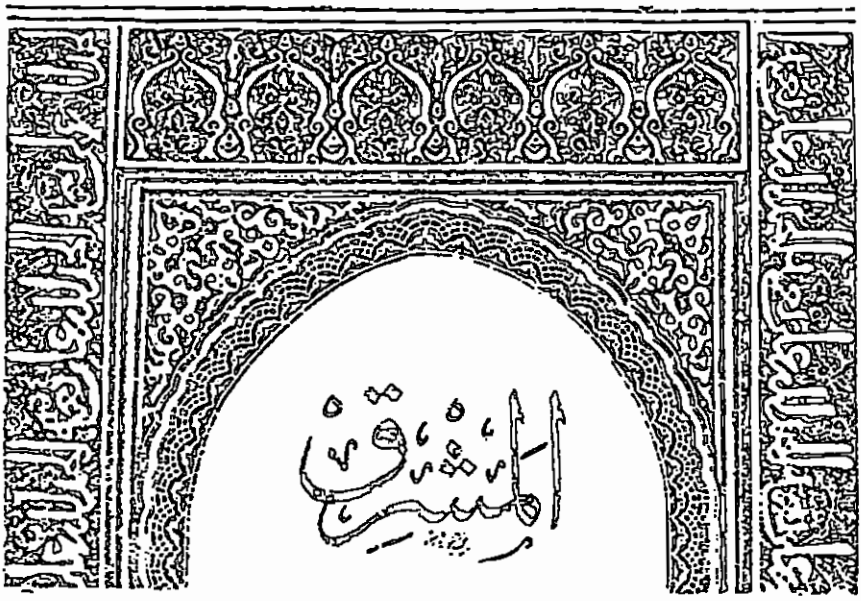

نيسان ١٩٣١

أمالي اللغة : ٧

اصل كلمة "الداوية"

بقلم حضرة الاب ا. س. مرسجي الدومنيكي

يتصور بعض المتهورين ، من ابناء اللغة العربية ، ان تعليل اصل الكلم من الامور الهينة ، يكفي للقيام به ارخاء العنان للمخيلة الجامحة ، فتهيم على وجهها في فيافي الاوهام ، فتعود ظانة الفوز بالمرام . على ان الحقيقة خلاف ما يتوهمون ، لان هذا الباب من اضيق الابواب مدخلاً ، والسبيل اليه من اوعر السبل مسلكاً . ومن عانى مشاقه ، اقرّ بذلك عارفاً صدقه . .

قبل جملة اعوام ، كان قد سألني احد الآباء الاساتذة الفرنسيين ، في معهدنا الكتابي الاثري ، عن اصل كلمة « الداوية » المعنون بها هذا المقال . فلم اتمكن من الاجابة حينئذٍ ، لاني لم اكن قد بحثت عنها . وجرى عرضاً ان

في تلك الايام كان احمد زكي باشا المصري يتردد الى خزانة كتبنا ، فقلت في نفسي : « دونك البحر الجمّ ، والملامة الاعظم ؛ فمنه تجد ضالتك ، ومنه تنال بغيتك . » بيد اني ما طرحت عليه السؤال الّا وتردّد ، فتلعثم ، فباقرّ بجهله ، فانسلّ . فعزمت منذئذٍ ان اتقصى المسألة بذاتي ، اثناء مطالعاتي .

ان قارئ تواريخ الحروب الصليبية او « الصليبيات » باللغة العربية ، كثيرًا ما يصادف هذه اللفظة « داويّة » بجانب كلمة اخرى وهي « اسپتالية » ، ومن القرائن ، والمقارنة بالتواريخ المدوّنة في اللغات الفرنجية ، يتوصّل الى ان يعرف ان « الاسپتالية او الاسپتارية » تطلق على جمعية من الرهبان أُنشئت في اوائل المملكة الفرنجية ، في الربوع الفلسطينية ، لضيافة الغرباء ؛ وان لفظة « داويّة » تطلق على الرهبنة الاخرى العسكرية التي كانت الغاية منها حماية الزوّار ، والدفاع عن المملكة المسيحية . وقد كان تأسيسها على يد الفارس هوغ دي پاين (Hugues de Payens) من اشراف شمپانية ، في فرنسة ، ورفاقه الفرسان الثانية ، وذلك في القدس ، سنة ١١١٨ ، في عهد الملك بقدوين الثاني ، الذي وهبهم محلًا لسكناهم ، قرب موقع هيكل سليمان ، ومنه دُعُوا بالفرنجية : *Chevaliers du temple* او *Templiers* . وفي اثناء مجمع تروا (Troyes) من مدن فرنسة ، المنعقد سنة ١١٢٨ ، وضع لهم قانون ، بعناية او نظارة القديس برنردوس ، اثبته البابا انوريوس الثاني ، اجابةً الى طلب اسطيفانوس بطريرك القدس [1]

فاسم الرهبنة الاولى بالفرنجية *Hospitaliers* . واسم الثانية *Templiers* . والمؤرخون المسلمون دعوا الاولين « اسپتالية او اسپتارية » والاخرين « داويّة » . والواضح ان « اسپتالية » تعريب *Hospitaliers* . فهل يا ترى « داويّة » تعريب *Templiers* ؟ هذا ما ترهمته احدى المخيّلات الطائفة في الفضاء ، ودونك ما

---

١) في خصوص منشأ الرهبان الاكليين او الداريّة ، وتاريخهم ، راجع المؤلفات الآتية :
Guillaume de Tyr, *lib. XII c. 7.* — *(Dans : Historiens des Croisades Occidentaux II)* — Jacques de Vitry, *l. I, c. 65.* — Michaud, *Hist. des croisades. T. II, pp. 98, 585 ss.*

نزلت به من طبقات الهواء:

« قد شبّه الاقدمون ادعية الرهبان وصلواتهم بدوي النحل . فاذا جاز لنا ان نرى « الداوية » من الالفاظ العربية ، قلنا انهم سمّوا كذلك لانهم كانوا يصلّون جميعاً معاً ، فيحصل من دعائهم هذا دوي (!!!) فسموا بالداوية . (بخ بخ)

« اما الذي عندنا فالداوية تصحيف « التامپلية » الفرنسية لا غير (سوف نرى عند المحكّ) . . . وكان عندنا (؟ ؟) نسخة تامة من كتاب الروضتين يذكر « الداوية » تارة باسم التاوية ، واخرى بصورة التابية ، ومرارًا عديدة : التاملية ، وبعض الاحيان التامية [1] ومن اختلاف هذه الروايات في كل صفحة بصورة من الصور يرى ان النساخ لم يفهموا معناها لغرابتها او لعجمتها . ولا جرم ان الكلمة اعجمية ، وانها من الفرنسية . » [2]

اما انا فيظهر لي ان هذا الكلام احرى به ان يكون مثالًا حيًّا « للتهوّر في التخيّل » ؛ وعليه لم يرضني كما انه لم يرق في اعين الاساتذة المحققين الفرنسيين في معهدنا . فما كان مني الا ان تابعت التقصي . وهذه نتيجته ، ابسطها لاهل الاذواق السليمة ، وارباب الاطلاع والاختصاص .

انجع وسيلة للباحث عن اصل الكلم ان يتتبعها في مظانّ ورودها ، ويشارف تطوّر احوالها . وما اكثر مظانّ هذه اللفظة ! فقد وردت في مؤلفات جميع الذين كتبوا عن الصليبيات . ولذا ، عمدت ، قبل كل شيء ، الى « مجموعة تواريخ الصليبيات » باللغة العربية . وتناولت الفهرس الابجدي لكل مجلّد من مجلداتها الضخمة . واينما وجدت كلمة « داوية » بحثت عنها في محلها . فتحققت ، بعد هذا العمل ، ان جميع هؤلاء المؤرخين المسلمين استعملوها بصورة « داوية » او مع شيء من التحريف . اما عن اصلها ، فلا ذكر عندهم

---

١) ليت هذه النسخة الثمينة وجدت ، فلكان طلاب الحقيقة احتفزوا صاحبها لينشر بالتصوير الشمسي روائع الصفحات العديدة الواردة فيها هذه الكلمة ، لا بصورها المصحّفة ، بل بصورتها الحقيقية «templiers» ذات الحروف الفرنجية !!! ولا ريب ان الذي ضدّ أنكاتب عن ذكرها بصورتها الاصلية خورٌ في الذاكرة عارض ، ان شاء الله .

٢) مجلة لغة العرب ، جزء ٢ ، سنة ٨ ، ص ١٢٩ .

البتة ، وخير ما صنعوا ، لانهم كفونا مؤونة التخيلات والخزعبلات الشبيهة بتخيل المذر القديم القائل بان اصل «عصفور» من « عصا وفرّ » ، والمذر الحديث المدعي بان اصل « هيكل » من « حي وجل ».

بيد ان ذلك لم يثبط مني العزم . فاكببت عندئذ على « مجموعة تواريخ الصليبيات » باللغات الفرنجية ، متبعاً النمط السابق عينه . ثم وقفت على تأريخ الرهبنة المذكورة ، ونص قانونها ، في اصله اللاتيني [1] فسافر انظم النظر عن انه كان بين تأسيسها ، سنة ١١١٨ ، وبين تثبيتها ، سنة ١١٢٨ ، مدة عشر سنوات ؛ وان اعضاءها لم يُدعَوا ، منذ البدء ، Templiers ، اي هيكليين ؛ لان الملك بقدوين الثاني لم يبهم محلًا ، قرب موقع هيكل سليمان ، الا عدة اعوام بعد نشأتهم ، وان اللقب الذي اطلق عليهم ، قبل سكناهم ، في جوار الهيكل ، كان : « *Les pauvres Chevaliers de la sainte Cité.* » (الفرسان « الفقراء » للمدينة المقدسة) وقد بقي هذا اللقب « الفقراء » في جملة القابهم ، حتى بعد نزولهم في ناحية الهيكل ، وتسميتهم به . كل ذلك ظاهر من نص دستور رهبتهم المذكور . اذ نجد في اوله العنوان الآتي باللغة اللاتينية : [2] « *Regula* Pauperum *Commilitonum Christi, templique Salomonis.* » (قانون الفرسان « الفقراء » للمسيح ولهيكل سليمان) . وهذا الآخر : [3] « *Incipit regula* Pauperum *Commilitonum sanctæ civitatis.* » (بدء قانون الفرسان « الفقراء » للمدينة المقدسة) .

وانت ترى ، في هذا العنوان الاخير ، ان لا ذكر لكلمة «*templi*» او « *templariorum* » (الهيكل او الهيكليين) . زد على ذلك اننا نجد ، في خلال هذا القانون ، ان افراد الجمعية يدعون باللاتينية « Fratres » [4] جمع «Frater» اي اخوة جمع اخ . وبهذا الاسم كان يدعى الرهبان عموماً ، في القرون

---

١) مجموعة الآباء اللاتين ، مجلد ١٦٦ ، عمود ٨٥٥ وما يليه .
٢) م . آ . ل . عين المجلد ع . ٨٥٧ .
٣) م . آ . ل . عين المجلد ع . ٨٥٩ .
٤) م . آ . ل . عين المجلد ع . ٨٧٠ وما يليه .

الوسطى ، كهنةً كانوا ام غير كهنة ، وقد كان وبقي حتى اليوم لقباً رسمياً للدومنيكيين والفرنسيسيين. *Frères Prêcheurs, Frères Mineurs*.

على ان هذه الفوائد ، ان لم تنفِ بمرامي في ذاك الحين ، فقد كان لها قيمة كبرى فيما بعد . لاني بينما كنت على تلك الحال ، اذ عنّ لي خاطر ، فقلت في نفسي : ان هناك ، ما عدا المؤرخين المسلمين والفرنجة ، مؤرخين شرقيين نصارى ، وهم السريان . وبين هولاء كان رجال فطاحل في العلوم الدينية والمدنية ، وقد عاصروا الصليبيين ومازجوهم ، ولا ريب انهم عرفوا هولاء الرهبان المدعوّين في الفرنجية *Templiers* ، وفي العربية « داوية » . ومن جملة هؤلاء المؤرخين السريان ثلاثة ، وضعوا مؤلفات تاريخية بلغتهم السريانية. اولهم : ميخائيل الكبير ، بطريرك اليعاقبة (١١٦٦ ١١٩٩) الذي حدث له مفاوضات للصليبيين ورؤسائهم الروحيين ، في انطاكية والقدس ، وكانت مراسلة بينه وبين البابا انوريوس الثاني . ثانيهم المؤرخ الرهاوي المجهول الاسم († ١٢٠٤) وثالثهم ابن العبري ، الذائع الصيت († ١٢٨٧)

فاقبلت على مؤلفاتهم [1] وادركت منها المواطن المنوطة بالصليبيات . وما اشدّ ما كان عجبي وسروري معاً ، حين اشرقت لانظاري انوار ساطعة تبدّد عن هذه القضية ظلمات الاوهام ، وتظهر الحقيقة باجلى بيان . فان هولاء الثلاثة يسمّون الرهبان المحكي عنهم تارة باسمهم العام اي «*Frères*» واخرى يذكرون بجانبه ترجمته بالسريانية (ܐܚܐ *ahi*) اى اخوة ، ودونك شواهد منهم : الرهاوي: « ܘܐܚܕ ܐܚܐ ܕܥܡܐ » ، « ܐܚܐ ܕܡܢ ܥܡܐ » [2] :

---

١) ميخائيل الكبير : تأريخ ، نشر وترجمة الابيل شابو ، المجلد الرابع يحوي النص السرياني ، والمجلدات الثلاثة الاخرى تتضمن الترجمة الفرنسية .

التاريخ المدني والكنسي ، لمؤلفه الرهاوي المجهول الاسم ، نشره السيد رحماني ، البطريرك السرياني الانطاكي.

ابن العبري : تأريخ بالسريانية ، نشره الاب بيجان اللازري.

٢) الرهاوي: تاريخ ص٢٦٤: « وقبض على الاخوة « الفرير »

ص ٢٥٧: « الاخوة الذين يدعون «الفرير»

ابن العبري: « ܡܓܣܛܪܐ ܕܐܚܘܬܐ ܕܥܡܐ ܕܐܬܪ ܗܘ ܒܝܬ ܩܒܪ » [1]
ميخائيل الكبير : « ܡܓܣܛܪܐ ܕܐܚܘܬܐ ܕܥܡܐ ܕܐܬܪ ܗܘ ܒܝܬ ܩܒܪ » . [2] وكل ذلك مطابق لما ورد في نص القانون.

على ان ثلاثتهم يطلقون عليهم ، في مواطن مختلفة ، فضلاً عن هذا الاسم ، لقب « ܐܚܬܐ ܕܥܡܐ » او « ܥܡܐ » فقط. (اي الاخوة الفقراء ، الفقراء) :
ميخائيل الكبير: « ܩܪܝܒܝܢ ܕܥܡܐ ܕܐܬܪ ܗܘ ܒܝܬ ܩܒܪ » [3]
الرهاوي: « ܡܓܣܛܪܐ ܕܒܝܬ ܩܒܪ ܕܥܡܐ » [4].

ابن العبري: « ܡܓܣܛܪܐ ܕܐܚܘܬܐ ܕܥܡܐ » ، « ܡܓܣܛܪܐ ܕܥܡܐ ܕܐܚܘܬܐ » [5]

ومعلومك ان كلمة « ܥܡܐ » في السريانية جمع لكلمة « ܥܡܐ » (*Dawyya*) الآتية من فعل « ܥܐ » ومعناه : كان بائساً ، فقيراً [6]

---

١) ابن العبري : تاريخ سرياني ، ص ٢٣٠ « رئيس (استاذ) « الفريرية » — « ܡܓܣܛܪܐ » من اللاتينية « *Magister* » .
ابن العبري ، ص ٢٥٤ « اخوة « فريرية » كان فيها » .

٢) ميخائيل الكبير : تاريخ ، ص ٥٠٥ « خبر الاخوة « الفرير » الفرنج »

٣) ميخائيل الكبير : تاريخ ، ص ٦٢٦ « والفرسان الفرنج « الداوية » اخذوا في الحرب » — انظر ايضاً الصفحات التالية : ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦٤٤

٤) الرهاوي : تاريخ ، ص ٢٥٨ « وهجم بشدة هولاء الفرنج « الداوية » ص ٢٦٠ « وطرد « الداوية » شر طرد »

٥) ابن العبري : تاريخ ص ٢٧٠ « وكثير من الاخوة « الداوية » والاسبتارية » ص ٢٧٤ « اما الاخوة « الداوية » او « الاسبتالية »

وقد وضع الاب بيجان اللازوي ، ناشر تاريخ ابن العبري السرياني ، حاشية في الصفحة ٢٧٢ ، ابان فيها من كان هؤلاء الرهبان ، ذاكراً مختلف اسمائهم عند السريان . فقال ما هذا تعريبه عن اصله بالسريانية الشرقية : « هم الرهبان العسكريون المحامون عن مملكة المسيحيين ، الذين كانوا يدعون « فريرية » (ܐܚܘܬܐ) اي اخوة ، او « اخوة داوية » (ܐܚܬܐ ܕܥܡܐ) وهم الميكليون (ܡܓܣܛܪܐ)

٦) Payne Smith, *Thesaurus Syriacus*, *T.I. c.* 829.
Brockelmann, *Lex. syr. p.* 143.

فاذن « ڤوڤرا » التي تعني « الفقراء » قد سمّى بها السريان هولاء الرهبان، مترجمة عن اسمهم الاولي ، باللاتينية او الفرنجية : « *Pauvres, Pauperes* » ذاك الاسم الذي بقي عليهم دائماً ، كما رأينا من نص قانونهم .

النتيجة الواضحة ان كلمة « داوية » التي اطلقها المؤرخون المسلمون على هؤلاء الرهبان العسكريين هي تعريب « ڤوڤرا » السريانية ، دون تعمّل ولا تصحيف . وقد شاعت بين النصارى الشرقيين ، فاخذوها عنهم . ومثل هذا جارٍ حتى في ايامنا هذه . فاننا نسمّي الرهبان الفرنج المتخصصين لتثقيف الشبان ، تارة « فرير » ، تعريب الكلمة الفرنسية . واخرى « اخوة » المدارس المسيحية ، بطريق الترجمة . وكما ان المسلمين اليوم عرفوا هذا الاسم « فرير » من المسيحيين الوطنيين ، فلا ريب ان المسلمين ، في زمن الصليبيين ، تلقوا كلمة « الداوية » من المسيحيين الشرقيين الذين استعملوا هذا الاسم ، دون او مع بقية اسماء هولاء الرهبان ؛ لانه شاع بينهم مترجماً من الفرنجية الى السريانية ، فعرّب . وفي ايامنا هذه ايضاً يحدث مثل هذا في شأن اسماء بعض الرهبان والراهبات ، من ابناء الفرنج . فان النصارى الوطنيين يدعونهم باسماء دون او مع اسمائهم الرسمية . دونك مثلاً : *Les Réparatrices. Les Sœurs Franciscaines Missionnaires de Marie. — Les Pères Missionnaires d'Afrique. etc.*

فانهم لا يدعونهم ، بترجمة هذه الاسماء الى العربية ، بل عوضاً عنها ، او زيادة عليها ، بهذه الآتية : راهبات القربان او السجود ؛ الراهبات البيض (لثوبهن الابيض) ؛ الآباء البيض (لبياض ثوبهم) .

هذا ، وللقارئ علي حق اظهار الحقيقة العلمية كما وقفت عليها ، بعد

في هذه الصفحة من معجمه ، قد اشار بروكلمن الى ان الابيل شابو اخطأ بترجمته عبارة ميخائيل الكبير ، الواقعة في الصفحة ٦٢٦ من كتابه ، وهي « ڤوڤرا وهم ڤريمي » ڤوڤرا » بما يلي بالفرنسية « *Les misérables chevaliers francs* » اي باتخاذه « ڤوڤرا » بمعناها الوضعي على حين كان يجب اعتبار دلالتها الاصطلاحية ، التي يقابلها بالافرنسية لا « *misérables* » لكن « *templiers* » ، والظاهر ان الحق بيد بروكلمن ، اللهم الا اذا كان قصدُ شابو من ترجمة « ڤوڤرا وهم » بالعبارة « *Misérables ou pauvres chevaliers* » اعتبارها لقباً من القابهم الخاصة ، وهذا معزّزاً لقولي المستند الى النوانين الموجودين في نص قانون هولاء الرهبان .

التقصي المتواصل . ولذا اقول : ان البطريرك ميخائيل الكبير كان له معرفة تامة بنشأ هؤلاء الرهبان ، وبقوانينهم التي لخصها في تأريخه ، بنوع كثير المطابقة للاصل اللاتيني ، ان لم يكن ترجمة بحتة ، فمن باب التصرف [1] ، وقد عنون الفصل المخصص لهم كما يلي : « ... » (خبر الاخوة الفرير الفرنج) ويدعوهم في غير محل « ... » كما رأينا . الا انه ذكرهم مرة كما يأتي : « ... » « ... » وقد ترجم العبارة ناشر الكتاب الانيل شابو بما يلي : " *Or ces " pbrer " c.-à.-d. " Frères » qui s'appellent « Dawiyah " c.-à.-d." divins* " . ويقول في الحاشية « ... » (باخط الكرشوني) « *l'ersion arabe « داوية » parait la transcription d'un mot franc.* »[2]

فالناجم من هذا ان ميخائيل الكبير — وهو على ظني ، اول من تصدى لشرح او تبيان اصل هذه اللفظة — يرى ان « داوية » تعني « الميين » والمترجم يقول انها نقلت عن كلمة فرنجية ، دون ان يذكر اية كلمة هي ، والحال اني اطلعت على ان هناك لفظة فرنسية قديمة وهي Dive الآتية من اللاتينية Divus جمعها Divi ودلالتها : « المي ، الميون »[3] . اجل ان في ذلك شيئاً من الاحتمال ، بيد انه — على خلاف كلمة « ... » — لم يلح له مقابل ، ولم اجد له اثراً البتة ، لا في تأريخ الرهبنة او قانونها ، ولا في تواريخ الصليبيات اذ ليس هناك من نص ، او مجرّد تلميح يستدل منه ان « الميكليين » سموا Divi « الميين » كما انه لم يدع به غيرهم من ارباب الطرائق النسكية [4]

---

١) ميخائيل الكبير : غير الكتاب ، ص ٥٩٥ و٥٩٦ — القس (اليوم : المطران الاسقف) ارمية السرياني ، الحروب الصليبية في الآثار السريانية ، ص ٥٧ وما يليها .

٢) ميخائيل الكبير : عين الكتاب (نصه السرياني) ص ٥٩٨ — شابو : ترجمته الفرنسية مجلد ٣ ، ص ٥٠٧ .

٣) Littré : *Dic. de la langue française p.* 1198 : « Dive, *adj. f.* Divine. *Veux mot qui ne se dit plus guère que dans cette phrase de Rabelais* : « La dive bouteille. » *Etym. Lat* : Divus, *grec*, Διος, *sanscrit*, deva, *Dieu, de* div, *ciel.*

٤) ارجح بكل نص او مستند تاريخي او لغوي يصدر من قبل العلماء اهل الاختصاص

الخلاصة : الذي نتج من التقصي الدقيق ، غير المتأثر بالهوى ، هو ان كلمة « الداوية » – خلافاً لما توهمه اهل المخيلات الطوافات – ليست قطعاً بتعريب اللفظة الفرنجية Templiers . بل قد تكون تعريب لفظة Divi اللاتينية ، الفرنجية ، وهو رأي عليه صبغة الاحتمال ، لما هناك من التقارب بين الوضعين ، لكني القيه على علاته ، غير متخذ اياه قولاً شافياً ، مع احترامي لسلطة صاحبه ، ميخائيل الكبير . وبالعكس أوثر القول – استناداً لما اطلعت عليه من الحقائق ، وأتيت به من البراهين والشواهد التاريخية واللغوية – ان « داوية » تعريب « دُوَيْمَا » السريانية [1]

فلاهل الاختصاص من لغويين وأسنيين ان ينظروا في القضية . فان راقت في عيونهم ، فحبذا ؛ والا فليأتوا بما لديهم من الحجج الراهنة الجديرة بتقويض اركانها ، لان الحقيقة ضالة كل باحث نزيه .

من شأنه ان يؤيد هذا القول ، قول ميخائيل الكبير .

[1] هذا ما يمكنني القول به ، بعد عناء البحث في اصل « الداوية » وليس من الغريب عندي ان يقوم بعد مدة بعض «سُود النيات» فيدعي انتحالي في ذلك قول احد المستشرقين ، كما ادعى اني انتحلت ، في تأصيل « الحواريين » (المشرق ؛ العددان ٨ و٩ (آب وايلول ١٩٢٩) ص٥٧٥ وما يليها) رأي نولدكي ، كانه يستحيل ، بذهن البشر ، ان يقف رجلان باحثان على حقيقة من الحقائق ، كل واحد من جهته . واما الواقع فهو اني ما عرفت ان « الحواري » آتية من الحبشية الا حين كنت ادرس هذه اللغة ؛ وكان يلدي ، كبيدوس ، كتاب العهد الجديد ؛ وفي عنوانه ، كما في نصه ، اسم الرسل Hawāriyāt ، فكأن ذلك الذي نبني الى تقصي اصلها . هذا ، ولم اقل ، متبجحاً تبجح امام الاغة : « انا وحدي ، ولا غيري ، وقفت على اصلها » بل قلت بصيغة الجمع : « اما اليوم ، فيفضل المقابلة الالسنة السامية . . . قد « عرفنا » ان الحواريين لا عربية ، ولا سريانية ، بل حبشية » ، كما لو قال احد الكتاب ، في غير باب : « اما اليوم ، فيفضل علم الفلك الحديث ، قد عرفنا (اي نحن اهل هذا العصر) ان الشمس ثابتة والارض دائرة » . وان كان نولدكي صاحب هذا الرأي ، فيطيب لي ، لا بل لي الشرف ان يكون بيني وبينه اتفاق الخواطر كي يقع الحافر على الحافر ، وذلك اولى من ان اهذر هذر امام اغة البادية . وان كان نولدكي ارتأى ان « الحواري » من الحبشية ، فهل هو الذي اثبت ايضاً انها ليست من Héwāré السريانية ؟ وهل هو الذي سفه خزعبلات المستشرقين القدماء ، وترهات ما شحنوا به احاديثهم ؟ لكن . . . هو الهوى يعمي ويصم !!!

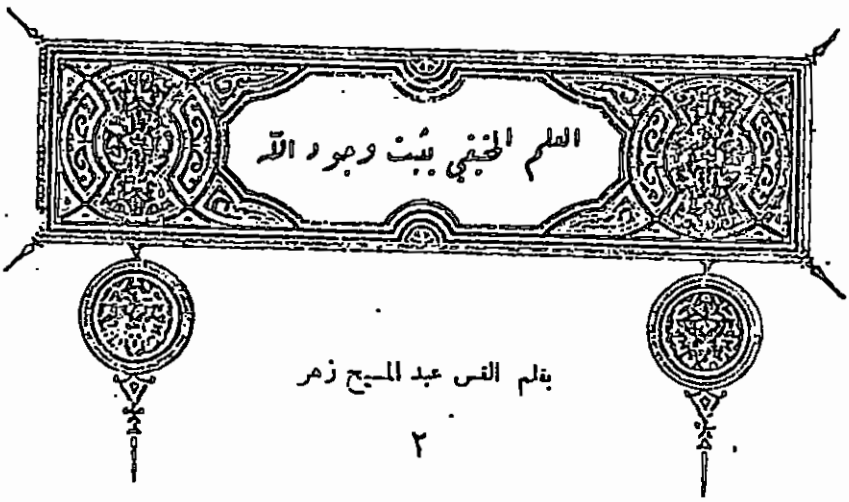

بقلم القس عبد المسيح زهر

وما عدا من ذكرنا من العلماء سابقاً نستطيع ان نذكر ايضاً عدداً وافراً من الذين احرزوا خطر السبق في انواع العلوم.

فمن الفلاسفة: اراسم ، وفرنسيس باكون الانكليزي صاحب التآليف العلمية والفلسفية ، وانطوان ارنلد صديق پسكال ، ولابروير ، ولوك ، وكلارك ، ومستر ، وبونالد وغيرهم.

ومن القضاة والفقهاء : توما موروس صاحب الايمان الحي ، ودومولان ، وداغسو ، ولاموانيون ، ودُمات ، وغروسيوس صاحب المقال «في حقيقة الدين» وترولنغ.

ومن المؤرخين : إمابيون الراهب البندكتي ، ونُوَل الكسندر احد الرهبان الدومنيكيين ، والاب تيلمون ، ورولّان ، وفاردي المؤرخ الكنسي ، ودوت كلمت البندكتي ، وبرجير ، والاب نُونت ، والاب غنه ، وشتوبريان ، وفردريك اوزنام ، وآخرون كثيرون.

ومن مشاهير الفلكيين: هرشل ، ولاپلاس ، وبينت ، والفريه الذي وجد السيارة نبتون على رأس قلمه ، والاب سكي ، وفاي ، والكولونل ده ليفوندس ، والاب مورو.

ومن اعيان الرياضيين : بُويل الايرلندي ، واولر الذي اظهر في رسائله شدة كرهه للكفّار ، وكوشي مؤدّب دوق بوردو ، وجان برنولي ، وهرميت احد اساتذة السربون ، وپويزو ، وهيدن ، وجيلبرت وغيرهم.

ومن افاضل علماء الكيمياء : لافوازيه المشهور بقتواه شهيد الظلم ، وبرزليوس الاسوجي ، وبرتولّه ، وغاي لوساك احد اساتذة السربون ، وتنارد احد اساتذة السربون ايضاً ، و ج . ب . دوماس احد اعضاء المجمع العلمي ومجمع المعارف والطب ، وليبيغ الالماني الاستاذ في مونيخ ، وشفرول الذي حلّل الزيوت والادهان ودرس الالوان ، وورتز الذي علّم الكيمياء الطبية في باريس بمدرسة الطب وآخرون غيرهم .

ومن البارعين في العلوم الطبيعية الحديثة : ريور ، وفولتا الايطالي [1] ، وأمبر التقيّ ، وفارادي الانكليزي ، و ج . ب . بيو ، وروبر ماير ، وبلاتو ، وفرسنل ، وكلوزيوس الالماني ، وبكرل ، ومكسول ، ووليم تومسون ، وبرنلي وغيرهم .

ومن الذين عنوا بكشف اسرار العلوم الطبيعية الحديثة : بوفون مؤلف التاريخ الطبيعي واعصر الطبيعة ، ولينه الذي عني بدرس النبات ، وانطوان ده جوسيو النباتي ، واخوه برنارد ، وهلر ، وكوفيه وبلانفيل ، ولاترى ، واتين جوفروا سانت هيلر ، ولويس آغاسيز المشايع كوفيه على آرائه ، والفنس ميلن ادوارد ، وايزيدور جوفروا سانت هيلر ، وغراسيوله ، وكاترفاج الذي دافع عن وحدة اصل الانسان ، وبرونفيار الاب والابن ، وإلي بومون ، وفان بندن البلجيكي ، وده ترنويل ، وأوماليوس دالوا البلجيكي ، والاب هاوي ، واندره دومون ، ودوبره ، والبر غودري ، وده لاباران ، ودوبويتون ، ولائنك ، وكوفيه ، وفلورنس ، وتولان ، وكلود برنار ، وپاستور اكبر المحسنين الى النوع البشري ، وآخرون كثيرون [2]

ومن الخطباء والفصحاء : بوردلو ، وفلشيه اسقف نيم ، وماسيون ، وبريه ، ومُنتالمبر ، ولاكوردير وغيرهم .

ومن مشاهير الشعراء ، مالرب ، وكورنيل ، وبرالو ، وراسين ، و ج . ب .

---

١) كتب هذا العالم عند آخر حياته قال : « اوتيت كثيراً وفتّشت ، والآن لا ابصر غير الله في كل مكان . »

٢) *Cours d'apalogétique chrétienne, p. 42*

روسو ، وسيلشيو پليكو ، ولامرتين الخ.

وبقي اكثر الشعراء والعلماء والفقهاء وارباب الادب والمؤرخين والفلاسفة مسيحيين الى الجيل الثامن عشر . ولسنا ننكر ان بعضهم قد ضلّوا وحادوا عن الصراط المستقيم بسبب تغلّب الاهواء عليهم ، ولكنهم تابوا الى الله قبل موتهم . فمن هؤلاء مونتين ، ولافونتين ، ومنتسكيو ، ويوفون ، ولا هارب ، ولعل ڤولتر منهم . اما جان جاك روسو فقد كتب في الايمان والدين كتابات جمة جُمعت في كتاب عنوانه « جان جاك روسو المدافع عن الدين المسيحي » . ومنهم ايضاً مين ده بيران ، وروبيه كلّار ، وجول سيمون ، وفرنسوا كوپيه ، وبول بورجه الذي بكى طويلاً ايمانه المفقود ، قال : « وبينما انا جالس في زاوية الى جانب النار مريضاً وحدي ، فكرت حيناً في الشتاء يوم كنت اؤمن بالله وبكيت . » فاذن اين عدد الكفار من العلماء اذا قوبل بالمؤمنين منهم ؟

شهادات بعض العلماء

قال سوفكل : « ملك الاولمب ابوها (الشريعة العامة) وهي لم تأتِ من بشر ولن يمحوها النسيان ، لان الله الاله الاعظم لا يهرم فيها[1] . »

وقال افلاطون : « كل من كان لهم شيء من العقل يستخفون بالالهة في اول اعمالهم ان كبيرة او صغيرة . »[2]

وقال ارسطو : « متى تأمل المرء الارض والبحر والسماء ، هل يستطيع ان يرتاب في وجود اله عظيم قد صنعها ؟ »[3]

وقال شيشرون : « ان الشريعة الاولى الحقيقية هي عقل الله القدير المستقيم . وهذه الشريعة عامة ثابتة ازلية تعلّم الخير وتنهى عن الشر ، ولا تستطيع شريعة تضعيفها او الحذف منها ، بل لا الشعب ولا مجلس الشورى يقدران على الاعفاء من الخضوع لها . وهي تفسّر نفسها ولا يمكن ان تكون في رومية خلافاً لما هي عليه في أثينة ، ولا اليوم خلافاً للغد . لان هذه الشريعة غير المتغيرة المقدسة

(١ Sophocle, *Œdipe roi V. 863*

(٢ *Tim.*

(٣ *Cf. Cic. de Nat. deor. II, 37*

سوف تسود ويسود الله معها في كل مكان وزمان. اذ ان الذي سنها وجزمها هو الله رب العالم وملكه .»[1]

قال ايضاً :« ما من امة جافية متوحشة الا وتؤمن بوجود الآلهة ولو انها تغالط في طبيعتهم .»

وقال :« ان الآراء متشعبة في شأن طبيعة الالهة ، ولكن لم يجحد احد وجودهم .»

وقال في مكان آخر :« كل حكم من قبل الطبيعة متى كان عاماً وجب ان يكون حقاً. اذن الاقرار بوجود الآلهة واجب.»[2]

وقال بلوتركس :« انك اذا طفتَ في الارض امكنك ان تجد مدناً غير مسوّرة... ولكنك لا تجد شعباً بلا اله وصلوات وايمان وعبادات وذبائح.»[3]

وقال مكسيموس الصوري الفيلسوف : « ان اليوناني والبربري وساكن القارّة والجزيرة يقرون بوجود الله باجماع الكلمة .»[4]

قال ترتليانس :« اتريدون ان نبرهن على وجود الله ... من شهادة نفسكم ؟ انها بالرغم من سجن الجسد الذي يضيّق عليها ، واوهام التربية التي تقيّدها ، والاهواء الردية التي تنهكها ، والاصنام التي تفسدها ، متى ثابت الى رشدها ... وافاقت من سكرتها ، وتنبّهت من وسنتها ، وعادت اليها صحتها وعافيتها تذكر الله قائلة : يا الله ، يا كريم ، ان شاء الله. هذا نداء كل منا . فيا لشهادة النفس المسيحيّة طبعاً.»

وقال ايضاً :« ما من شيء يمثل لنا الله مثل القصور عن فهمه ، فان كماله غير المتناهي يبديه ويخفيه عن البشر في وقت واحد.»[5]

وقال كپلر :« اشكرك ايها الرب الخالق على ما استفزّني من الفرح لدى تأملي اعمالك التي بثثت عظمتها للبشر.»

وقال نيوتن :« ان في حركة السيارات ونظامها وتنقّل اعوانها ووجهتها

---

١) الجمهورية ، الكتاب ٣ عدد ١٧

٢) طبيعة الالهة ، ١٧ و ١ و ٢

٣) *Adv. Col. Epic.*

٤) *Dissert., I*

٥) *Apolog., 17*

وسيرها وشدة اسراعها اثرًا من المثورة وشهادةً على عمل علّة لا عمياء ولا اتفاقية . »

وقال لابروير : « اني احسّ بوجود الله ولا احسّ بان لا اله وهذا حسبي . برهان العالم لا ينفصي فاستنتج وجوده . وهذه النتيجة مركوزة في طبعي وقد تلقّنت مبادئها بسهولة في صباي ، وحفظتها الى شيخوختي ، ولم يخطر قط على بالي بطلانها . الا ان بعض العقول تنبذ هذه المبادئ والصوبة تدور على وجود امثال هذه العقول . فاذا صح ذلك ووجدت فهو دليل على وجود المسوخ . »[1]

وقال ڤولتر : « كل ما في العالم صناعة والصناعة تدل على صانع . تأمل حلزونًا او حشرة او ذبابة تجد فيها صناعة غير متناهية تعجز الصناعة البشرية عن احتذائها . فاذن لا بد من وجود صانع في غاية الحذق ، وهذا الصانع يسميه الحكماء الله . »[2]

وقال ايضاً : « ما اورد احد بعد ادلة تنفي وجود عقل سام . » وايضاً : « التعطيل النظري من اغرب الحماقات . »

وقال : « اذا كانت الساعة تدلّ على ساعاتي ، والقصر على بنّاء ، فكيف لا يدل هذا الكون على عقل سام ؟ بل اي نبتة او حيوان او عنصر او كوكب لا يظهر فيه اثر من ستاه افلاطون المهندس الازلي ؟ »[3]

وقال تروانغ : « بعد ما قرأت كثيرًا وفتشت طويلًا واشتغلت حيناً ، ما وجدت حقًا سوى التعليم المسيحي . »

كان نابوليون يحب مجادلة منج ولاگرانج ولابلاس علماء عصره في المسائل الفلسفية والدينية . وكان نابليون يحبهم ويكثر من الاكرام لهم ، ولكنه افحمهم مرارًا بقوة براهينه ووضوح دلائله . قال ذات يوم لمنج : « ان ديني بسيط جدًا . اتأمل هذا الكون الفسيح الارجاء الكثير التعقيد الفائق الجمال فاقول : ان هذا لا يمكن ان يكون نتيجة الاتفاق ، بل هو بالحري عمل كائن

---

١) الفصل ١٦

٢) *Œuvres de Voltaire. éd. de Kehl, t. 46, p. 30*

٣) ڤولتير : تعليقات على *les Cabales*

مجهول قدير يفوق الانسان كما يفوق الكون اجل الآلات التي عندنا . ففتش يا مُنج وابحث واستقص انت واصحابك علماء الرياضيات والفلسفة ، فلست تجد برهاناً اقوى واقطع . ومهما حاولت دحضه فلن تتوصل الى تضعيفه .»[1]

وقال هرشل :« مهما اتسع ميدان العلم زادت وثبتت البينات على الوجود الازلي والعقل الخالق . »

وقال لينه :« رأيت الله كما رآه موسى ونظرت قفاه وهو مارّ . رأيته فخرست واستولى العجب عليّ واخذتني الحيرة . ولكني تمكنت من اكتشاف آثار رجليه في اعمال الخلق ، اذ ان في اعماله الصغيرة المحسوبة كلا شيء قوة وحكمة وكمالا لا يوصف . »[2]

وقال ديدرو :« قدّر ان بعض الحمقى ينكرون على امثالك قوة التفكير . فاذا يتتج من هذا الانكار ؟ ينتج انه اذا كان الكون — ولماذا اقول الكون — بل بالحري جناح الفراشة يمثل لي آثاراً متميزة الف مرة عن العقل الذي يدلك على ان مثلك حاصل على قوة التفكير . فانكار وجود الله اكثر حماقة الف مرة من انكارك التفكير على مثلك . فاذا كان الامر كذلك ، فانا احاكمك الى نور عقلك وضميرك . متى رأيت في قوى بعض الناس العقلية وافعالهم وتصرفهم عقلاً ونظاماً وذكاء واهمية اكثر مما في آلات الحشرات .»[3]

وقال دالامبر :« قال الكافر : اني اذا رفعت رأسي الى السماء صدقت رؤية آثار الاله ؛ ولكن اذا نظرت الى ما حولي ... الجواب : انظر الى باطنك ؛ ولكن الويل لك اذا كنت لا تقنع بهذا البرهان . في الحقيقة انه لا حاجة لنا الى النزول الى اعماق نفوسنا لنرى فينا عمل العقل السامي الذي وهب لنا الوجود ويحفظه فينا . فهذا الوجود معجزة لا تؤثر فينا لانها دائمة متواصلة . غير انها تمثل لنا في كل وقت قوة سامية بها منوط امرنا . ومهما كان اثر عمل هذه القوة محسوساً فينا وفي ما يحدق بنا فمع ذلك لا عذر لنا في

---

١) تاريخ الفضيلة والمملكة ، وجه ٢٣٠

٢) Linné, *cité par l'éditeur de la Raison du Christianisme*

٣) المؤلف المذكور سابقاً

التفتيش عنها في الاشياء التافهة التي لا طائل فيها . »[1]

وقال تيرس : « ان اكبر العقول يحار في عجائب الخلق . فالعقل يبين العقل في الكون ولذلك كان العقل الكبير اقدر من الصغير على رؤية الله من خلال اعماله . »[2]

واذا حاولنا ايراد اقوال العلماء في اثبات وجود الله ضاقت الصحف ونفدت القراطيس فنكتفي بما ذكرنا وحسب.

ولعل معترضاً يعترض قائلاً : ولكن العالم ما خلا من علماء اعلام اصحاب عقول ثاقبة واحلام راجحة اصرّوا على انكار الاله.

الجواب : اللهم نعم . غير ان انكار هذه الفرقة وجود الله لا يستطيع نسخ الحقيقة وهدم صرحها ، ولاسيما ان هؤلاء العلماء ما ايدوا قط قولهم بالادلة الواضحة والحجج اللائحة ، بل اقتصروا على الانكار بلا حجة ودليل. على ان الحقيقة المثبتة بالبراهين الساطعة والبينات الناصعة لا يبطلها اعتراض المعترضين ، ولاسيما ان الكفار الحقيقيين عددهم نزر يسير ، بل ان بعض الفلاسفة انكروا وجودهم ، لان ليس كل من انتسب الى الكفر كان في التحقيق كافراً مقتنعاً بكفره . ولذلك ليست الاسباب الدافعة الى الكفر من نتائج العلم الصحيح بل ما هي الا ثمرة تسلط الشهوة على العقل. قال الحكيم : « سحر الاباطيل يغشي الخير ودوار الشهوة يطيش العقل السليم. »[3] وقال فليكس لدنتك : « عدد المعطلة قليل في عصرنا ولو قالوا بما قالوا. »[4]

فبرهان الكافر هذا هو : اني لا اعتقد وجود الله لاني كافر. هذا برهان الكفر . وقد اعتاد المعطل الجزم والقطع في الامور بلا فحص واطالة نظر . بل ان كثيراً من هؤلاء الاشقياء البائسين يجهلون مبادئ الدين الذي يشنون عليه غاراتهم ، واذا تدارسوها حيناً كان ذلك منهم فضولاً او سبباً لمقاومتها والاجتهاد في ابطالها . اما ضلال الذاهبين الى ان العلم قادر على كشف

---

١) D'Alembert, *de l'abus de la critique en matière de Religion, chap. VII.*

٢) تاريخ الفلسفة والملكة ، المجلد ٣ وجه ٢٠٩

٣) حكمة ٦ : ١٢ ٤) طالع كتابه المنون *L'Athéisme* ، صفحة ١٧

الاسرار فاقبح واشد فظاعة. وتأييداً لهذا المدعى اسمع ما قال اللورد سالسبوري في شهر آب سنة ١٨٩٤ ، في حضرة اعضاء مجمع تقدم العلوم البريطاني في اكسفرد : « كان يُظن سابقاً ان نظريات مذهب النشوء مضرة من الوجهة الدينية ، ولربما كان الامر كذلك ، لو سدّت الاشباح مدّ الاعيان ، وأقيم البرهان على كون العلم ومذهب النشوء الكفري متلبثاً احدهما بالآخر ، وكون العلم والدين غير متفقين ... ولكن قليل هم الذين يظنون في وقتنا الحاضر ان معاهد الاختبارات العلمية ، او المجاهر تستطيع استجلاء الالغاز المتعلقة بطبيعة النفس البشرية ومصيرها . على اننا عائشون في وسط واحة من العلم زاهرة ، ولكنها ضيقة يحدق بها من كل جهاتها اقطار حافلة باسرار لا يسبر غورها ولم يفرعها بعدُ احد ... فالاقرار بجهلنا خير جواب على الالغاز التي تطرحها علينا الطبيعة . »

فاذن من بلغ من العلم ما استطاع به ادراك كنه الدهر كيف لا يكون اسرع ادراكاً لرب الدهر ؟ كما قال الحكيم . على ان جميع الذين لم يعرفوا الله هم حقي من طبعهم ، اذ لم يقدروا ان يعلموا الكائن من الخيرات المنظورة ، ولم يتأملوا المصنوعات حتى يعرفوا صانعها . واذا كانوا دهشوا من قوة « الطبيعة » وفعلها ، فليتفهموا بها كم منشئها اقوى منها . فانه بعظم جمال المبروءات يُبصر فاطرها على طريق المقايسة[1] . وقال الرسول بولس : ان غير منظوراته قد أبصرت منذ خلق العالم اذ أدركت بالمبروءات ، وكذلك قدرته الازلية والوهته حتى انهم لا معذرة لهم[2] .

الخلاصة : الجاهل وحده قال في قلبه ليس اله[3] . اما العالم فقد عرفه ومجده واعلن قدرته .

---

١) حكمة ١٣ : ١-٩ ٢) رومية ١-٢٠

٣) مز ١٣ : ١

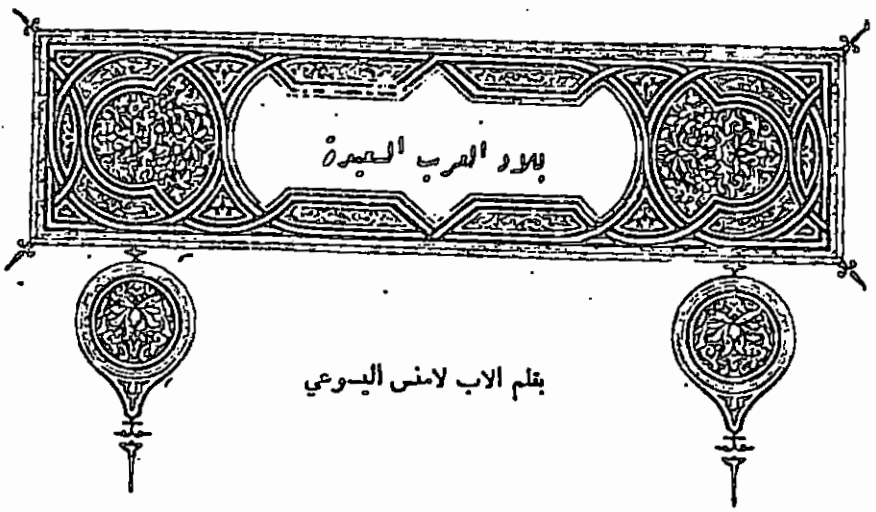

بقلم الاب لامنس اليسوعي

في الزاوية الجنوبية الغربية من شبه جزيرة العرب ، قرب خليج باب المندب حيث يتصل البحر الاحمر بالاوقيانوس الهندي ، تُطرُ دعاه جغرافيو اليونان والرومان « بلاد العرب السعيدة » . اما ما دفعهم الى استعمال هذا الاسم المبشر بالخير فهو ان ذاك القطر — الذي يسميه العرب «اليمن» — يمتاز عن سائر الاقطار العربية فيفضلها بعدة صفات من حيث مناخه وتنوّع محصولاته وغناها ، ومن حيث سكّانه ومدنيته العريقة في القدم ، ومن حيث لغته ايضاً وهي اللغة الحميريّة ، والمجديّته وهي المعروفة بالخطّ المسند . فاليمن غير صحاري العرب القاحلة ، بلاد الجوع والعطش .

في مرافئ اليمن كانت سفن الهند والشرق الاقصى ترسو فتفرغ محصولات بلادها الغنية ، فيتزاحم التجّار ويتبارون في شرائها والاتجار بها . وفي اليمن كانت السوق العالمية لتجارة البخور والطيوب الغالية التي كانت تباع بالذهب ثقلًا بثقل .

وكان الاقدمون ، بشهادة التوراة وكتبة اليونان والرومان ، يعتبرون اليمن بلادًا مطيبة الهواء بالبخور وعطور النباتات ، لا يتكلف سكّانها سوى الانحناء الى الارض ليجمعوا المعادن النفيسة الكريمة . فلا عجب اذن ان اجمع كتبة الاقدمين على نعت تلك البلاد « بالسعيدة » .

على انه لم يبقَ اليوم من تلك السعادة الا ما لم يقوَ الناس على ملاشاته ،

اي المناخ والمناظر الجغرافية . وهو ما سنبيّنه دارسين بلاد اليمن الحاضرة [1].

* * *

يحدّ اليمن من الشمال بلاد عسير ، ومن الغرب البحر الاحمر ، ومن الجنوب الاوقيانوس الهندي ، ومن الشرق صحاري الربع الخالي . فيؤلف مستطيلاً من الارض بين الدرجتين ١٣ و ١٧ من الطول الشمالي . اما مساحته فتبلغ ٤٣,٠٠٠ كيلومتر مربّع تنقسم الى ثلاث مناطق متوازية مبتدئة من شواطئ البحر الاحمر ، وصاعدة تدريجياً الى الداخلية . ولكل من هذه المناطق مناخ خاص يستفيد من الموسم ، والموسم اسم السيول الغزيرة التي تفدقها على تلك البلاد رطوبة الاوقيانوس الهندي اذ تسوقها رياح الجنوب الى بلاد اليمن . اما المنطقة الاولى فهي تهامة ، تشمل شاطئ البحر الاحمر وبعض الجزر كأرخبيل كمران ، وتمتد في سهل شديد الحرارة يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر نحو ٢٠٠ متر . وهذه المنطقة اقلّ مناطق اليمن خصباً ، وان حرارتها الرطبة تجعل الاقامة فيها ذات متاعب ومشقّات . اما المنطقة الثانية فسلسلة جبال موازية للبحر ترتفع بمعدّل ١٢٠٠ متر ، يرويها عدد من السيول الجارفة والسواقي ، ولكن على غير نظام ولا ترتيب . وتمطر فيها السماء مرّتين في السنة ، في نيسان وفي ايلول ، فتجعلها اكثر المناطق الثلاث خصباً حتى ان السكان قد يستغلون سنوياً ثلاثة مواسم . واما المنطقة الثالثة فتتألف من الجبال الداخلية العالية التي ينتهي ارتفاعها الى معدّل لا يقلّ عن ٢,٠٠٠ متر .

يبلغ سكان اليمن مليوناً ونصف مليون ، لا خمسة ملايين كما تقول المصادر الرسمية وكما يردّد الكتّاب دون تدقيق . على ان موارد البلاد كافية لاعالة خمسة ملايين واكثر . الا ان المبادئ الصحية مجهولة في العيال خصوصاً ، وكذلك طرق الوقاية . وليس هناك من اطباء يقاومون مفاعيل الاوبئة المنتشرة وامراض الاطفال التي تذهب بالكثير من الضحايا ، حتى ان نصف الاطفال على التقريب يموتون دون سنّ البلوغ ، وقد افترط الامام يحيى عشرة

(١) اخذنا رسوم هذا المقال من كتاب :

Herm. Burchardt u. Mittwoch, *Aus dem Jemen*, Leipzig ; Brockhaus.

من ابنائه الشرعيين . واذا اضفنا الى هذه النوازل نزوع السكان الى حياة الفوضى ، وحروبهم الدائمة حتى ان تاريخهم كله يلخص باخبار محاربتهم للاتراك ، وللانكليز ، ولجيرانهم ، وعراكهم بعضهم ضد البعض الآخر ، قبيلة ضد قبيلة وحياً ضد حي ؛ مما صرفهم الى الرغبة في الاعتزال ، والاتجاه الى جبالهم ، فقست قلوبهم وشرست طباعهم ، فابغضوا الغريب بغضاً شديداً ، وغدوا على استعداد دائم للقتال لا يكادون يفترقون عن بندقياتهم ؛ اذا اضفنا هذا الى ما تقدم من سوء الحالة الصحية ، ادركنا سبب التوقف في عدد السكان ، وسبب الشظف والشقاء في معيشتهم ، على الرغم من خصب البلاد وغنى مواردها . فان دوام المنازعات والحروب ينفي الامن والطمأنينة ، فيمنع الناس من استغلال تلك الموارد الطبيعية الغزيرة على سطح الارض وتحتها .

اهم مرافئ اليمن الحُدَيدة (٤٢,٠٠٠ ساكن) ، ثم مُخا التي نالت شهرة بعيدة في تجارة البنّ حتى دُعي البنّ اليمني باسمها ، وقد انحطت اليوم وادرك الخراب قسماً صالحاً من مبانيها . وهناك عدد من المدن لا يتجاوز سكانها الخمسة الآلاف منها لُحَيَّة ، وبيت الفقيه ، ومناخه ، وتَعِزّ ، وذمار ، وَيريم . واكبر منها زَبيد التي تعدّ ثمانية آلاف ، وصعدة وفيها ستة آلاف . اما صنعاء العاصمة فيبلغ سكانها ٢٢,٠٠٠ فيهم نحو ٨,٠٠٠ يهودي . وهي تعلو عن سطح البحر اكثر من الفي متر فتستقبل النسيم بارداً فيرطب حرارة المنطقة ويولي المدينة مناخاً ممتازاً . وقد زارها امين الريحاني في صيف سنة ١٩٢٢ ، فوصفها قائلاً : [1]

« ان صنعاء مدينة عربية صافية روحاً وشكلاً . اسواقها مثل اسواق جدّه غير مرصوفة ولكنها اوسع وانظف . اما بيوتها العالية ، وبعضها ست طبقات ، فبناؤها اكثر اتقاناً واجمل هندسة . لان الاسلوب العربي فيها لا يشوبه شيء اجنبي هندي او اوربي . وهي مبنية بالحجارة البيضاء والسوداء ، وبعضها بالآجرّ ، والبعض باللبن وبين كل طابق والآخر زنّار من الجصّ الابيض المنقوش اشكالاً هندسية . وفوق كل نافذة كوّة فيها لوح من المرمر يكاد

(١) امين الريحاني : ملوك العرب ، بيروت ١٩٢٤ ، ١ : ١١١

يكون كالزجاج رقيقاً شفافاً . ولكنه امتن من الزجاج واجمل : ولاكثر البيوت في الطابق الاخير غرفة واحدة هي غالباً معلقة من جهاتها الاربع تُشرف على المدينة ، وتُدعى المنظرة . وهم يستخدمونها للاستقبال والقيلولة فيفرشونها بالطنافس والمساند والوسائد . ومنهم من يستعملون الزجاج الملوّن في النوافذ فيقسمونه اشكالاً هندسية ،ويلوّنونها بالاحمر والاصفر والاخضر والازرق، اي الاصباغ الاربعة التي يصنعونها في اليمن ، يستخرجونها من النبات . »

اكثر سكان اليمن من القبائل العربية القحطانية ، الّا أُسر « الاسياد » المنتسبة الى النبي . ولكثرة ما كان يعقد عرب تلك البلاد من الزيجات مع العبيد والموالي من الاحباش ، اختلط الدم ، وغدا لون اليمانيين ضارباً الى الادمة بل الى السواد احياناً . وفي اليمن ١٥٠,٠٠٠ يهودي يتحدّرون عن قوم ذي نُواس الذين حرقوا نصارى نجران ، اصحاب الاخدود الوارد ذكرهم في القرآن (٨٥ : ٤) ، والحديث ، وسيرة الرسول . واليهود يدفعون الجزية ، ويسكنون احياء خاصة . ويحتقرهم المسلمون كثيراً فيمنعونهم من ركوب الدوابّ الا الحمير ، ولا يسمحون لهم برفع منازلهم فوق الطابقين . اما منازل المسلمين فكثيراً ما تبلغ الثمانية طوابق كما يظهر في الرسم ١ . ولليهود حاخام اعظم لا يزال يُدعى « حاخام باشا » منذ عهد الاتراك . وفي اليمن ايضاً بضعة آلاف من الاسماعيليين يسكنون نجران وما حولها ، وهم من اعدى اعداء الزيود ، ولكنهم يدفعون الجزية للامام الزيدي . ويستعملون في كتبهم الدينية ابجدية خاصة تُذكّر بالخطّ المسند . واهل اليمن جميعهم ، رجالاً ونساء ، يلبسون نوعاً من البرانيط يتقون به حرارة الشمس المحرقة . وكلهم يتكلمون اللغة العربية ، وفي لهجاتهم تعابير غريبة قد تكون من آثار اللغة الحميرية السابقة للهجرة .

***

يبلغ مسلمو اليمن نحو ١,٤٠٠,٠٠٠ ثلثهم من السنيين على المذهب الشافعي ، يسكنون السهول في منطقة تهامة والشواطئ البحرية . والثلثان الآخران من الزيود ، يسكنون الجبال . والفريقان اليوم على وفاق ، الّا ان

اتفاقهما ضعيف القوى ، قد يكفي اقل خلاف لفصمه . والزيود فرقة من الشيعة [1] ينفردون بانهم يجعلون مكان امام الجعافرة الخامس إماماً خاصاً بهم هو زيد ، حفيد الحسين بن علي ، الذي قتل سنة ٧٤٠ ، في محاربته للخليفة هشام بن عبد الملك . وهم اقرب الفرق الشيعية من السنيين ، لا يعتقدون « بغيبة الامام » ، وينتخبون امامهم انتخاباً . اما الامام الحالي فهو يحيى بن حميد الدين المتوكل على الله ، المولود سنة ١٨٧٦ ، والمنتخب امام الزيود ، سنة ١٩٠٢ ، خلفاً لابيه ، الامام المنصور . كان من تابعي سلاطين تركية حتى قبيل الحرب ، فنال استقلالاً جزئياً أتمه على اثر انهيار الترك سنة ١٩١٨ . وفي سنة ١٩٢٥ احتل الحديدة ، واغتصبها من السيد الادريسي ، امام عسير . ولا يزال طموحه يدفع به الى احتلال مقاطعات اليمن القديمة اي عسير وحضرموت . وهو امير حازم مجتهد يقوم احسن قيام بواجباته الادارية والدينية . ولكنه لا يزال من الزي القديم بين الامراء ، فهو كثير الشك بمعاونيه وعماله ، يرتاب بكل ما يحدث حوله ، وقد اعتقل مئات الرهائن يحتفظ بهم ليمنع الخيانات التي قد يرتكبها ولاته والدسائس التي قد يدبرها الاسياد العلويون لخلعه من الامارة . اقام عنده امين الريحاني نحو العشرين يوماً فوصفه بما يلي [2] .

« دخلنا فاذا نحن امام رجل ربع القامة ، صغير الرجل واليد ، اسمر اللون ، عالي الجبين ، مستدير الوجه ، فاتنه . وله فم كفم الطفل صغير بارز ، الا ان في مرونته وهو يتكلم اشارة تقربه طوراً منك وتارة تبعده . وفي عينيه السوداوين القريبتين من أنف قصير عريض نور يضيء وشرارة في بعض الاحايين رواعة . وله لحية سوداء قصيرة مستديرة يتخللها خيوط من الشيب . يلبس قباء من القطن مخططاً فوق جبة ذات اردان من نسج اليمن ، ولعمامته البيضاء الكبيرة ذؤابة تكاد تصل الى اذنه . دخلنا فاذا هو جالس على فراش اسود وثير ، تحته فراش آخر وسجادة عجمية ، والى جنبيه الوسائد يتكئ عليها ، وامامه زجاجة من الماء ورزمة من الثقات ، وخادم ينتخب الطري من

١) راجع كتابنا : *L'Islam, croyances et institutions*, p. 170, 199

٢) الكتاب المذكور ١ : ١١٦-١١٧

الرسم ٣
بدوي من مأرب

الرسم ٤
فلاح من فلاحي اليمن

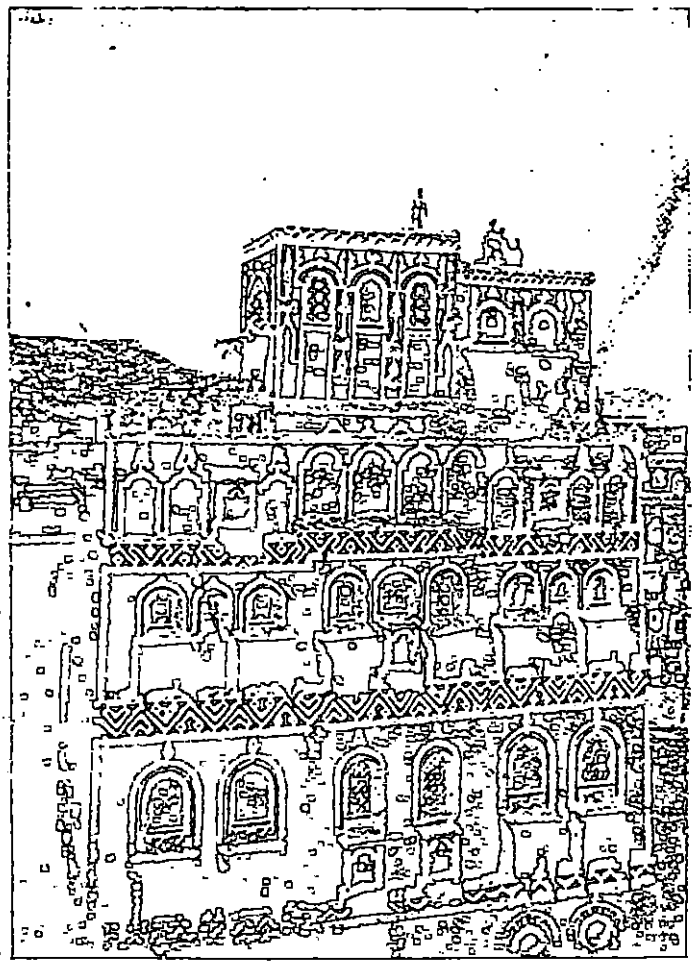

الرسم ١

منزل من منازل صنعاء

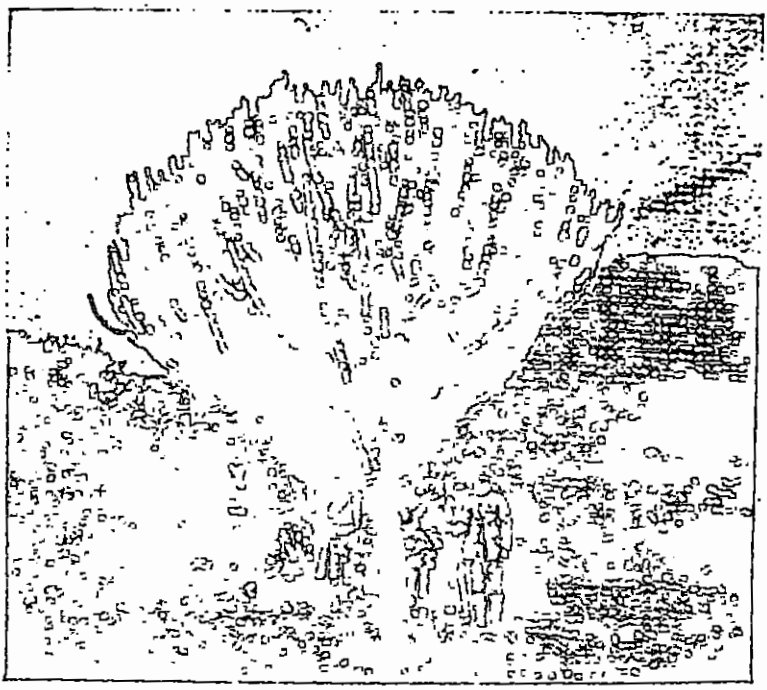

الرسم ٢

شجرة البستى العظيمة

غصونها فيقدمها له . هو الامام يحيى بن حميد الدين المتوكل على الله . صافحناه مسلمين فردّ السلام مرحباً بنا دون ان يقف . جلسنا امامه على سجّادة تحتها فراش ، والغرفة الصغيرة مفروشة بمثلها ، وفيها عند الباب ديوان ، وعلى الحائط خرائط البلاد العربية واليابانية باللغة التركية .»

عقد اليمن معاهدة ولاء مع روسية سنة ١٩٢٩ ، ومعاهدة مع ايطالية التي تورد اليه الاسلحة والذخائر وبعض الفنيين الاختصاصيين بصناعة رصاص البنادق ؛ وعقد اتفاقاً مع تركية ، وآخر مع نجد . ويقيم في الحُدَيدة قنصل انكليزي، وآخر فرنسوي ، وثالث ايطالي . اما القبائل المهمة في تلك البلاد فهي حاشد وباقل المتحالفتان ، والزرانيق في تهامة ، وبنو حمدان ، وبنو يام الاسماعيليون في منطقة نجران . وكلها صعبة الانصياع لاوامر الحكومة تُعتبر مستقلة نوعاً ما .

وقد أُصلح نظام الجيش منذ السنة ١٩٢٦ ، وهو يعدّ ١٢,٠٠٠ عسكري يدرّبهم ضباط اتراك ، وفي حالة الحرب ، كل رجل سليم في اليمن يُعتبر من المقاتلين . اما المعارف فضئيلة ، وليس في اليمن الا عدد قليل من المدارس الابتدائية ، دخل شيء طفيف من التجديد في اساليب بعضها بفضل المعلّمين من الاتراك ، وفي البلاد كلها جريدة واحدة ، هي الرسمية ، تصدر في صنعاء واسمها «اليمن» . اما حركة التجارة فبطيئة جدًّا ، وليس لدينا معلومات احصائية الا ما نُشر في السنة ١٩٠٩ عن مرفأ الحديدة . وان اهم بضاعة تصدر من اليمن البنّ الذي يُعدّ «ملك البنّ» ، الا انه اليوم يقاوم بصعوبة مزاحمة البنّ البرازيلي لرخص هذا . وقد أُصدر من البنّ اليمني سنة ١٩٢٢ ، عشرة آلاف كيس ، وما اقلها اذا قابلناها بمئات الالوف من اكياس البنّ التي تأتينا من اميركة ! واهل اليمن لا يشربون الا قهوة خاصة يفلون لها قشرة البنّ لا لبّه . ونبات البنّ ينمو في تلك البلاد في علوّ يتراوح بين ١٢٠٠ و ٢٤٠٠ متر، وافضل الاماكن لغرسه المنخفضات التي تحميه من حرارة الشمس اللاذعة . وفي مجاهل اليمن وغاباته تهيم حتى اليوم جماعات من القردة والسعادين . ويرى المسافر في المناطق الداخلية كثيرًا من الكتابات والنقوش المينية والحميرية يرقى بعضها الى عدة قرون قبل المسيح فيدلّ على مدنية متقدّمة .

هذه بلاد الامام يحيى « امير المؤمنين » كما يدعو نفسه رسمياً ، حتى مذ عهد الاتراك . هذه « بلاد العرب السعيدة » كما تظهر في ايامنا . وهي تكون سعيدة حقاً ، ان شاءت ان تتمتع بسلام وطمأنينة ، بالخيرات العديدة التي احتبتها لها السماء ، فتضع حداً للمنازعات الداخلية من سياسية ودينية بين الشوافع والزيود . وهي تكون سعيدة ان انصرفت عنها مطامع جيرانها . فابن سعود لا يفتأ عاملاً على توسيع نفوذه ، وقد ثبت حمايته مؤخراً على عسير الجنوبي الذي يعتبره الامام يحيى قطعةً من اليمن . ولا نبالغ اذا قلنا انه سيتولد من هذا الخلاف مشادّة عنيفة لا ندرك نتيجتها بين أميرين كثيري المطامح ، شديدي العناد ، يدعو احدهما نفسه « امير المؤمنين » ، بينما الآخر يكر بنشوة انتصاراته السابقة فيزداد طموحاً . من منهما يقوم بالتضحيات اللازمة للسلام العام في البلدين ؟ ومن منهما يتنازل عن شيء مما يعتبره حقه الشرعي ؟ اننا نخشى صلابة ابن سعود ان تدفعه الى التمسك بطالبه ؛ وعندئذٍ فليس الا الحرب بين اميرين يزعم كل منهما انه يعمل لمصلحة العرب اجمعين ولخير الاسلام العام . . .

هذا وان الحاج فيلبي (Philby) الانكليزي الذي اعتنق الدين الاسلامي مؤخراً واضحى مستشاراً لابن سعود ، لا يفتأ يدفع امره الى محاربة اليمن . ولكن حالة ملك الوهابيين المالية لا تسمح بمباشرة هذه الحرب ، وان هو قبل مساعدة الانكليز ، استهدف لفقدان ما بقي له من ميل الشعب . وعلى كل فان المستقبل كفيل بحلّ هذا المشكل ، فلننتظره مترقبين . . .

دلبتا

نبذة تاريخية

للخوري بطرس روفائيل

٧ عائلة الحصارنة (تابع)

الفرع الثاني

ينتسب هذا الفرع الى الحاج سليمان الذي وفد الى دلبتا نحو سنة ١٦٩٠ ، ويبدنا صك باسمه مؤرخ سنة ١٦٩٢ .

من هذا الفرع مرعي الحاج ، ترى ترجمته في غير هذا المكان.

واخوه الخوري انطون ، ترى ترجمته في غير هذا المكان.

والخوري يعقوب بن مرعي ، ترى ترجمته في غير هذا المكان.

والمثلث الرحمات البطريرك يوحنا الحاج ، ترى ترجمته في غير هذا المكان .

وسيدنا المطران يوحنا الحاج ، رئيس اساقفة دمشق ، الخطيب البليغ ، وصاحب المباحث الشائقة القيمة اللاهوتية والقانونية عن الزواج ، والمدارس العلمانية ، والماسونية ، وغير ذلك . وما سيم اسقفاً حتى صار له في سبيل ابرشيته ايادٍ بيضاء ومآثر مأثورة منها وفاء الديون التي كان كرسيه رازحاً تحتها.

٨ عائلة الجميّل

خرج جدّ هذه الاسرة من جاج سنة ١٥٤٥ ، مع الشدياق سركيس الخازن ، وآل كيد ، كما ذكر الدويهي في تاريخه لتلك السنة قال : « ان في هذه السنة كانت نقلة اهالي قرية جاج التي في بلاد جبيل الى بلاد كسروان لكثرة الامان والعدل الذي كان يصدر من الامير منصور فالشدياق سركيس سار الى قرية البوار واولاد الجميّل الى قاطع بكفيا وبيت كيد الى قاطع

غزير [1] . »

وفي منتصف الجيل السابع عشر ، حدث خلاف بين اللمعيين ، وكانوا وقتئذٍ مقدَّمين ، وبين اولاد الجيل ، فتشتت هؤلاء واتوا بلونه طالبين حماية المشايخ الخازنيين . ولما راقت الاحوال رجع البعض منهم الى بكفيا . واما ابو عون حنا فجاء دلبتا في اواخر الجيل السابع عشر واستوطنها ومن سلالته فرع رحل عن دلبتا الى بشرات في بلاد بعلبك ، وفرع آخر الى فتري في بلاد جبيل .

٩ً عائلة باسيل

ان هذه العائلة منتشرة في محالّ عديدة ، غير ان اصلها من قرية سمار جبيل . والذين سكنوا منها قرية دلبتا أتوها من مواضع مختلفة . اوّلهم ايوب باسيل حضر بين آخر الجيل السابع عشر واول الجيل الثامن عشر ، اما المكان الذي قدم منه ففيه قولان : يرتأي البعض انه قرية أسيا في بلاد البترون ، والبعض الآخر يرتأي انه سمار جبيل وهو الارجح . وفي سنة ١٧٣٠ جاء نعيم باسيل من سمار جبيل ، وبعده عبود جحى من معراب ، في آخر الجيل الثامن عشر ، ولحق به من معراب ايضاً سنة ١٨٤٤ يوسف بطرس باسيل [2] .

من هذه العائلة القس نعمة الله من الرهبانية البلدية ، ترأس مدة طويلة دير طاميش ، ثم انتخب مديراً ، توفي سنة ١٩٠٧ .

والخوري سمعان فرج ، تلميذ مدرسة عين ورقة ، ترأس دير مار يوسف الحرف في درعون منذ سنة ١٨٣٥ ، ومكث في وظيفته هذه نحو ستين سنة باذلاً وسعه في تحصيل معاش سكان هذا الدير الفقير . كان مشهوراً بتقواه وكثيراً ما رآه المؤمنون يذرف الدموع الغزيرة في اثناء تقدمة الذبيحة الالهية عند كلام التقديس . توفي سنة ١٨٩٨ .

وولدا اخي المتقدم ذكره القس لويس ، والياس فرج . فللقس لويس المساعي الحميدة في تشييد دير مار انطونيوس البدواني في دلبتا . واما الياس فله آثار عديدة في الاداب العربية منها كتاب « مبادئ القراءة » ، وكتاب « مجموعة

---

١) عن نسخة خطية بيد المؤلف . ٢) النبذة ص ٧١ الى ٧٢ ، والسجل ص ٤ .

الازهار من ربى الاشعار » ، وكتاب « رغبة السائل في انشاء الرسائل » ، وكتاب « دليل الزوّار الى الاراضي المقدسة » ، وكتاب « مجموع صلوات » ، وكتاب « روضة الالحان » . ولا تزال هذه الالحان تُنشد في حلب حتى يومنا . توفي سنة ١٩١٠ .

١٠ عائلة الحدّاد الكفاعية

كانت مهنة جدّ هذه العائلة الحدادة ، فلقبت عائلته ببيت الحداد . حضر الى دلبتا من عين كفاع من بلاد جبيل في بدء الجيل الثامن عشر . من هذه العائلة كنج ، رحل الى حاصبيا وترك فيها ذرّية . وبنو الشامي ، وهم احفاد الشهداء المسابكيين لانهم [1] .

١١ عائلة الحدّاد التحومية

جدُّ هذه العائلة ابو يوسف رزق كان يحترف الحدادة ايضاً فلُقّب بالحدّاد . نزح عن تحوم وجاء دلبتا في العشر الثاني من الجيل الثامن عشر ، ثم لحق به من تحوم اولاد عمه الياس وطنوس ويوحنا ويوسف ، فسكنوا دلبتا معه وكانت حرفتهم الحدادة . غير ان الياس رحل بعد ذلك الى عرامون وله أعقابٌ فيها معروفون « ببيت نهرا الحدّاد » .

من هذه العائلة شربل ، رحل في آخر الجيل الثامن عشر الى حارة حريك في ساحل بيروت ، وسلالته معروفة ليومنا هناك « ببيت التحومي » ، وفرع رحل الى بيروت ، وفرع الى بلاد جبيل . والآن قد انقطعت ذرّية هذه العائلة في دلبتا [2] .

١٢ عائلة الغربي

في النصف الاول من الجيل الثامن عشر قدم دلبتا طانيوس الغربي ، غير انه لم يُعثر في الصكوك القديمة على مكان مولده ولا على سبب كنيته بالغربي [3] .

من هذه العائلة فرنسيس ، لبس الاسكيم في الرهبانية الحلبية وسيم قساً

١) النبذة ص ٧٤ ، والسجل ص ٤ و ٥ ٢) النبذة ص ٧٥ و٧٦ ، والسجل ص ٥ .
٣) النبذة ص ٧٧ ، والسجل ص ٥ .

باسم عبدالله ، قد عُيّن رئيساً على دير رومية سنة ١٨٤١ [1] وتوفي سنة ١٨٤٢ .

١٣ عائلة مراد

روى لي صديقي الدكتور موسى مراد ، الطبيب الماهر المشهور في بيروت وفي الجيل ، ان منشأ عائلته حلب . حضر منها أخوان في النصف الاول من الجيل الثامن عشر ، فاستوطن الاول زوق مصبح وله سلالة فيها معروفة «ببيت الطبيب» اذ خرج منها جبّور الطبيب الشهير . واما الثاني فرح فجاء دلبتا وسكنها ورُزق اولاداً منهم مراد الذي لُقبت العائلة باسمه . وفي سنة ١٧٨٥ اشترى مراد بن فرح من الشيخ بركات جنبلاط الخازن قطعة الارض المسماة «العزقة» ، وهي تمتدّ من «عين الضيعة» الى «نبعة الخنزير» وأُطلق على هذا النبع اسم الخنزير لان خنزيراً بريّاً كان يرده .

من هذه العائلة يوحنا ، اخو مراد ، لبس الاسكيم في الرهبانية الحلبية وصار قسيساً باسم مرتينوس ، عاش مدة طويلة في دير رومية وترأسه وتوفي فيه سنة ١٨٢١ ، وكان ذا اعتبار عظيم وسمعة طيبة فشاء اخوته الرهبان ان يحيوا ذكره بينهم فعهدوا الى مصوّر ماهر ان ينجز صورته من نوع الزيت ففعل ولا تزال هذه الصورة موجودة في الدير [2] .

ومن مراد ترى ترجمته في غير هذا المكان .

ونيافة المطران يوحنا مراد ، رئيس اساقفة بعلبك ، سُقف سنة ١٨٩٢ ، واقتنى ارزاقاً وسيعة خصيبة لكرسيه حتى جعله من اغنى كراسي الطائفة .

والخوري شكرالله ، صاحب «كلك جميلة» و«دعوة الحبيب» ونشرات اخرى .

١٤ عائلة الحلو

اصل هذه العائلة من قرية حصرايل من بلاد جبيل . استوطن فرع منها غسطا ، ومنه البطريرك يوحنا الحلو ، وجاء دلبتا واحد منها يدعى موسى في منتصف الجيل الثامن عشر . ثم رحل عن دلبتا الى غزير فرع يُعرف «ببيت

---

١) سجلات البطريركية المارونية : اوراق البطريرك يوسف حبيش ، عدد ١١٢ .

٢) النبذة ص ٧٨ الى ٨٠ ، والسجل ص ٥ .

الحلو » . اما الباقون في دلبتا فيلقبون « ببني الهوشري » [1]

١٥ عائلة الخوري

جدّ هذه العائلة من بقعاتا ، ترحّل الى عشقوت واستوطنها ومن ذريّته ابو الياس شاهوب قدم دلبتا في النصف الثاني من الجيل السابع عشر [2].

من هذه العائلة الخوري يوسف الشاعر ، ترى ترجمته في غير هذا المكان.

واخوه الخوري بطرس الشاعر ، صاحب « تاريخ الاحقاب » ، وكتاب « طبيب العيال » ، انعم عليه السيد الذكر لاون الثالث عشر بلقب حاجب سري « منسنيور » ، توفي سنة ١٩١٤ .

١٦ عائلة نعمة

جدّ هذه العائلة نعمة كان في ايامه بنّاءً ماهرًا ، منشأه مزرعة كفردبيان من بيت بطيش ، واصل هذه العائلة من قرية تولا. استقدمه الخوري بطرس روفائيل القديم سنة ١٧٦١ ، لاجل تتميم بناء كنيسة القديس يعقوب المقطّع ، فاستوطن دلبتا وظلّت سلالته فيها الى الآن [3] .

١٧ عائلة الدكاش

اصل هذه العائلة من الحصون في بلاد جبيل . قدم البعض منها مكاناً يسمى « البستان » في جهات عرامون الشمالية ، وكان بينهم الاخوان رومانوس وميخائيل اللذان سكنا دلبتا وتزوّجا بابنتين من آل الحتوني سنة ١٧٩٢ . وفي بدء الجيل التاسع عشر لحق بهما الى دلبتا فرنسيس بن نصر الدكاش ، وتوفي بدون عقب عن ثروة وفيرة ، فتقاسم اقرباؤه الارث وابتاع داره المطران يوحنا حبيب مؤسس جمعية المرسلين اللبنانيين ، وكان اذ ذاك قاضياً ، فسكنها نحو ١٨ سنة . ثم انتقلت الى يد نجم مراد وهي باقية الى الآن وكانت تُعدّ من اجمل الدور [4]

---

١) النبذة ص ٨١ ، والسجل ص ٥.

٢) النبذة ص ٨٣ الى ٨٥ ، والسجل ص ٥.

٣) النبذة ص ٨٦ ، والسجل ص ٥. ٤) النبذة ص ٨٧ و٨٨ ، والسجل ص ٥.

١٨ عائلة ابي يونس

اصل هذه العائلة من المرقنية من شنشير ، تزوج احدهما وسكن غزير ثم ترك غزير ابنه ساسين ، وجاء دلبتا سنة ١٨٣٤ [1] .

هذا ما تسنى لي الوقوف عليه من أسر دلبتا وبعض افرادها ، بعد البحث الطويل والتنقيب الدقيق في كتب المؤرخين والصكوك القديمة والمخطوطات التي بيدي. قد يكون في درسي هذا سهو او نقص فارجو المعذرة ان العصمة لله ، واني لمشارك الخوري منصور في ما صرح به ، بعد ان ذكر العيال الدلبتاوية واصلها: «هذا ما تأكدته بعد البحث البليغ ووقوفي على الصكوك القديمة التي دلتني على اصل كل عائلة واني بنعمة الله لم أحرر شيئاً بسبيل الميل والغرض ولا على سبيل الظن والتقدير بل قد حررت كل شيء تأكدته على سبيل البساطة المسيحية فارجو المطالع نبذتي هذه المعذرة اذا وجد فيها غلطاً او شططاً لانه يكون على سبيل السهو او عدم وصول المعرفة اليه . الله يشهد بذلك [2] » .

الفصل الرابع

بعض حوادثها التاريخية

لم تكن دلبتا مقراً لحكومة فيتوارد اليها الموظفون والمتخاصمون والزائرون ، ولا مركزاً للسياسة العامة فيتزاحم فيها زعماء الاحزاب بالدسائس والمشاحنات ، ولا موطناً لحاكم فتحدث فيها اعياد واستقبالات واستعراض جنود ، بل كانت نازعة الى الهدوء والسكينة ، ومنقطعة الى الاقتصاديات من زراعة وتجارة . غير انه قد وقع فيها بعض حوادث لا يخلو ذكرها من بعض الفائدة. ففي سنة ١٨٠٦ ، كان ثلاثة من سكانها يصنعون دبس العنب في معصرة « بيت الجميل » في مكان يدعى « الدلبة » في ناحية « الوادي » ، فجاروا على ارض ليست لهم وقطعوا من اشجارها اغصاناً وحطباً . فاقام الملاك الحجة عليهم ، فانكروا الامر ، فطلب القسم امام مذبح مار يعقوب المقطع ، شفيع كنيسة

---

١) النبذة ص ٨٩ ، والسجل ص ٥ .

٢) ان صاحب النبذة التاريخية في العيال الدلبتاوية لم يتجاوز ، فيما كتب ، سنة ١٨٨٢ .

الرعية ، فأبى احدهم ، اما الآخران فنظرا الى الامر بطيش فأدّيا اليمين ؛ وما نطقا بالبهتان حتى خرجا من الكنيسة مريوطي اللسان لا يستطيعان التكلم ، وما لبث لوثهما ان تقيح فقذفا دماً ، وتوفيا بعد برهة وجيزة . فكان لهذا الحادث وقعٌ عظيم في قلوب السكان ، فتناقلوه رعباً وعبرةً [1] .

وفي مساء ١٧ ايار من سنة ١٨٠١ ، هبّت زوبعة هائلة ، فتلبدت السماء بالغيوم وابرقت وارعدت بدون انقطاع حتى نصف الليل ، وهطل بعد ذلك بَرَدٌ كبير الحجم . ودامت هذه السيلة نحو ساعة حتى خشي الناس ان يكون الله قد سمح بخراب قرى الجبل وخسوف اراضيها ، وقد شملت هذه الزوبعة عجلتون ، ودرعون ، وغسطا ، ومعراب ، وغادير ، وساحل علما ، واجتازت دلبتا دون ان تلحق بها ضرراً . واصابت عرامون وبعض قرى الفتوح وبكفيا حتى صليا ، وعلا البَرَد في بعض الامكنة نحو ثلث ذراع فوق الارض وأكد بعضهم انهم شاهدوا البَرَدة بحجم البيضة الصغيرة . فطفت الانهر وفاضت السواقي ، فتلف التوت بعد ان كان عامراً بورقه النضر ، وتجردت اغصانه من قشرها وتحطمت . فدهش اهل دلبتا وشكروا الله نعمته اذ حوّل هذه الضربة عنهم بينما قد حلّت في جوارهم [2] . غير انه في شهر كانون الثاني من سنة ١٨٦٢ هاج ليلاً في دلبتا وجوارها إعصار شديد جداً دام نحو ساعة ، فسالت الامطار وارتفعت المياه طافحة في المجاري العميقة فائضة في السواقي ، فقلعت اشجاراً قديمة العهد غليظة الابدان منها شجر الدلب ، وجرّت صخوراً من محالها ودحرجتها في الوديان وصدمت بيت جبور نعمه ، الذي كان يبعد عن مجرى الماء نحو ٤٠٠ قدم ، فهدمته ، وكان فيه موسى احد اولاد جبور وهو في عنفوان العمر ووالدته ، وعند الصباح التأم اهل القرية فلم يجدوا من البيت الا اساسه فبحثوا عن جثث المقتولين فلم يعثروا الا على بعض قطع من جسد موسى في مجرى الماء [3] .

وقد كان لاهل دلبتا في القرن التاسع عشر بعض النصيب في الانقلابات السياسية المتعلقة بحكم الجبل . ونحن نورد بعض اعمالهم ، ملخّصينها عن تاريخ

١) النبذة ص ١٠٤ . ٢) النبذة ص ١٠٤ . ٣) النبذة ص ١٠٥ .

المقاطعة الكسروانية ، فان مزلقه كان عليماً بها لكثرة تنقيبه ومعاصراً لاكثرها . وهنت قوى اللبنانيين في النصف الاول من الجيل التاسع عشر ، وخمدت عزائمهم من زيادة الضرائب وثقل الاعانات التي كان يفرضها عليهم حكامهم مضطرين ، لاشباع جشع الولاة كالجزار وعبدالله باشا ، او سداً لنفقات حروب كان يقوم بها نائب مصر ، فيئسوا من الحالة واخذوا ينتظرون ساعة الفرج بذاهب الصبر . وكان يصيب سكان دلبتا كثيرٌ من مثل هذه الكلف اذ كانوا معتبرين من ذوي الثروات الواسعة . ففي سنة ١٨٤٠ نشبت ثورة في كسروان على الامير بشير وحليفه محمد علي ، فتعصب لها اولاً الشيخ فرنسيس ابو نادر فجُعل قائداً لرجالها ولقب بسر عسكر النصارى . وفي ما بعد انضمّ اليه البعض من الامراء الشهابيين والمشايخ الخازنيين . غير ان جنود الامير بشير ومحمد علي لحقوا بهم وهزموهم وشتّتوهم . وكان بين الثائرين الامير خنجر الحرفوش ، واخوه الامير سلمان ، ففرّا هاربين الى بلاد جبيل . ولما درى بهما حاكم كسروان ، الامير عبدالله ابن اخي الامير بشير ، ارسل من قبض عليهما ، وسجنهما في غزير ، بعد ان جرّدهما من السلاح فذاع خبر اعتقالهما في القرى المجاورة لغزير . فاجتمع من دلبتا وعرامون والجديدة وشنعير نحو مائتي رجل مدجّجين بالسلاح وطلبوا من الامير عبدالله اخلاء سبيل الاميرين ، فابى . ولما اعادوا الكرّة ، اظهر غضباً وتصلّباً ، فوثبوا حينئذٍ على باب السجن وحطّموه واخرجوا الاسيرين واتباعهما ، واسترجعوا الاسلحة وسلّموها لاصحابها ، وساروا بهم بالحدو والغناء الى جونية فالمتن . فلما علم الامير بشير بما جرى احتدم غيظاً وعزم على معاقبة الثائرين اشدّ معاقبة ، فارسل ولده الامير خليل الى غزير وأرفقه بخمسمائة جندي ، فوزّعهم هذا على القرى وأمرهم بجمع الاسلحة والغرامة من السكان بصرامة كلية وبدون رحمة . فخاف المتهمون وفرّوا مختبئين في المغاور والكهوف متوارين عن العيون ، فتفرّق الجنود في دلبتا والقرى المجاورة وابدوا اقصى الشدة ، فاكرهوا من لا سلاح عنده على ان يشتري سلاحاً ويقدّمه وغرّموا السكان الاموال واهانوهم بالضرب والاعتقال [1] .

١) المقاطعة الكسروانية ص ٢٧٤-٢٨٢ (لها صلة)

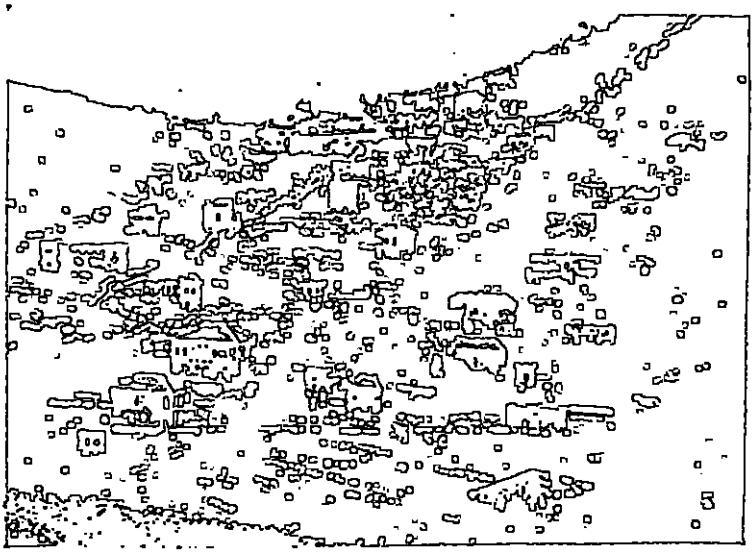

دلتا

الجهة الشمالية

دلتا

الجهة الجنوبية

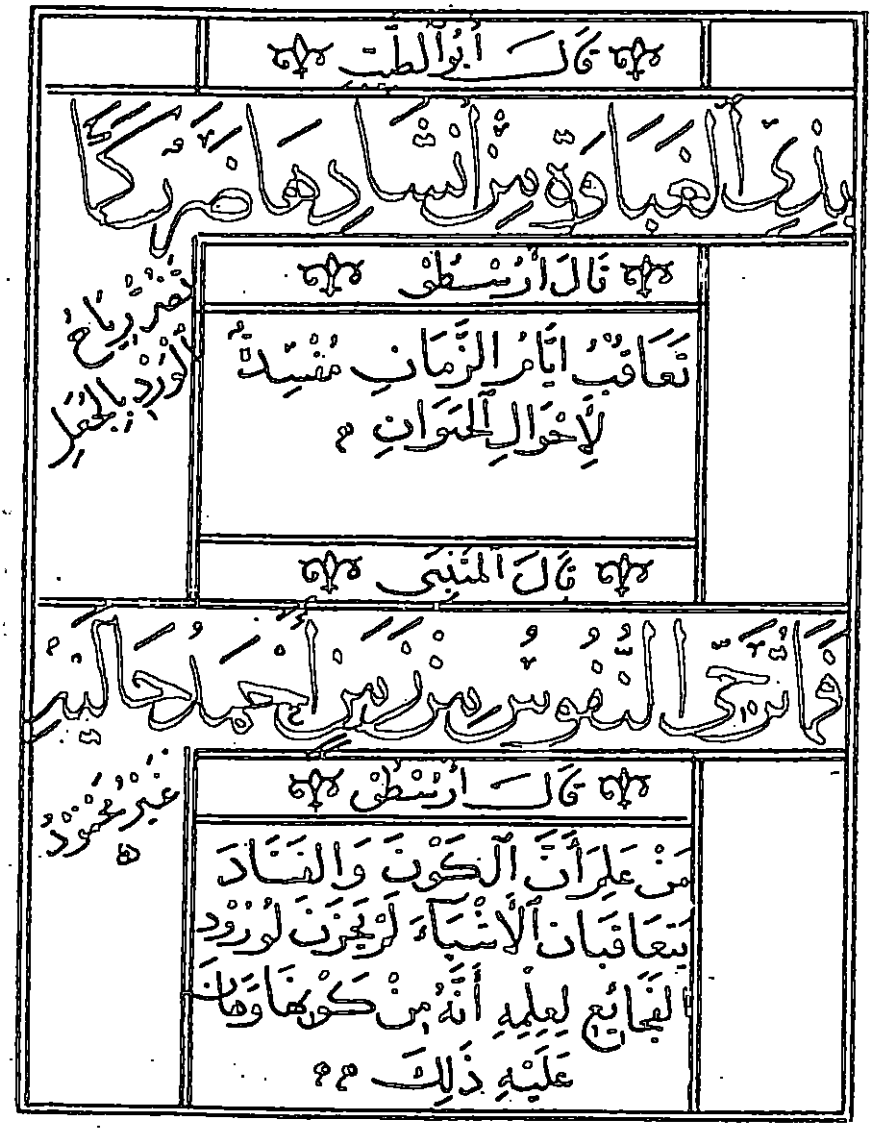

مثال من المخطوطة ٣٦٢ التي استندنا اليها خصوصاً في طبعتنا

الورقة [٩ و]

الرسالة الحاتمية

فيما وافق المتنبي فيه شعره كلام ارسطو في الحكمة

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

٣

طبعتنا

استندنا في طبعتنا اولًا الى مخطوطة المكتبة الشرقية الاولى ذات الرقم ٣٤٢ ، ووسمناها بحرف م تسهيلًا لذكر الروايات المختلفة . ثم استندنا الى المخطوطة الثانية وأشرنا اليها بحرف مم . ثم الى طبعة بيروت للقس انطون بولاد التي رمزنا اليها بحرف ت ، فالى طبعة القسطنطينية المعبّر عنها بحرف ق .

وقد عرضنا الابيات كلها على ما ورد في ديوان المتنبي ، طبعة اليازجي[1] ، حتى اذا وجدنا اختلافاً ذكرناه مشيرين الى رواية الديوان بحرف د .

أما الزيادة على روايات النسخة م فوضعناها بين معقفين ، واشرنا في الحواشي الى مصدرها . وكذلك أشرنا الى مآخذ الابيات ، اي القصائد التي انتزعت منها ، وفي من قيلت ، ولاي سبب .

ورأينا تسهيلًا لترتيب الحواشي والشروح ، ان نسم كل مقابلة برقم متسلسل نضعه عن يمين النص في المتن والحاشية . وراعينا ذكر اوراق المخطوطة م فأشرنا الى كل منها في اول النص برقم جعلناه بين معقفين يدل على عدد الورقة واردفناه بحرف و او ق ، يدل الاول على وجه الورقة ، والثاني على قفاها .

وهذا نص الرسالة :

---

١) كتاب الصرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب ، بيروت ، ١٨٨٢ .

[٢ و]

الرسالة المعروفة بالحاتمية

فيما وافق النبي في شرعه كلام ارسطو في الحكمة

[٢ ق] بسم الله الرحمن الرحيم

[وما توفيقي الا بالله] [١]

[قال الامام ابو علي محمد بن الحسن بن المظفّر ، الكاتب ، اللغوي ، المعروف بالحاتمي ، رحمه الله] [٢] :

اما بعد فان احقّ ما احتكمت اليه نفوس أولي النظر ، وانقادت اليه آراء اهل الفكر ، وجلت [٣] الشبهة [٤] عنه [٥] بنظر [٦] المتصفّحين ، وأمضت به عزائمها قلوبُ المعتبرين ، العدلُ . فانه شيح [٧] العقل ، ونسيج [٨] النُهى ، وصفو [٩] الفهم ، وعديل عن الهوى [١٠] . والذي بعثني على تصنيف [١١] هذه الالفاظ المنطقية [١٢] ، والآراء الفلسفية ، التي اخذها [١٣] ابو الطيب احمد بن

---

١) زيادة في ق

٢) زيادة في ق و ت الا انها : « الامام ابو علي . الكاتب اللغوي المعروف » ففي ت وحدها . وكذلك « رحمه الله » في ق وحدها .

٣) في ق : وحلت .
٤) في ق : الشبه .
٥) في م و مم : عنها .
٦) في ق : نواظر .
٧) شيح : كذا في م ، وفي ق : نسج ، وفي مم : شيخ او شيح . اما ت فلم تذكر المقطع كله .
٨) في ق : وحليف . وفي مم : ونسج .
٩) في ق : وصفو .
١٠) في ق : وعدوّ الهوى .
١١) في ق : تأليف .
١٢) في م : المنطيقية .
١٣) في م : اخذها .

الحسين المتنبي ، منافرةُ خصومي فيه ، لما رأيت [من][1] نفور عقولهم عنه ، [وتصغيرهم لقدره][2] .

وقد ثبت[3] عند ذوي العقل [٣ و] والتمييز أنّ الإنسان انما فضل[4] سائر الحيوان بالعقل المتناول[5] علم ما غاب عن الحواس ؛ وثبت ان النظر[6] الفكري في النفس مُفصحٌ عمّا[7] تناول علمه العقل[8] ؛ وهو على ضربين : ضرب منه[9] منثور الالفاظ ، مبثوث[10] المعاني [تتصرّف النفس في اجتلابه من حيث يسنح][11] ، وضرب منه منظوم ، موجز[12] ، مفهوم[13] . ووجدنا ابا الطيب [احمد ابن الحسين][14] المتنبي قد اتى في شعره باغراض فلسفية ، ومعانٍ[15] منطقية ؛ فان كان[16] ذلك منه عن فحص ونظر وبحث ، فقد اغرق في درس العلوم ؛ وان يكُ[17] ذلك منه على سبيل الاتفاق ، فقد زاد على الفلاسفة بالايجاز والبلاغة والالفاظ العربية[18] . [٣ ق] وهو في[19] الحالتين[20] على غاية من الفضل ، وسبيل نهاية من النبل . وقد[21] اوردت من ذلك ما يُستدلّ به على فضله [في نفسه وفضل

---

١) زيادة في ق .
٢) زيادة في ق .
٣) في مم : ثبت عندي وعند . . .
٤) في مم : أفضل . وفي ق زيادة : على .
٥) في ق زيادة : به .
٦) في م و مم : العقل .
٧) في م : عن ما .
٨) في ق زيادة : وصحت به خلاية للنفس .
٩) في ق : فيه .
١٠) في م : مثبوث . وفي مم : متبوت .
١١) زيادة في ق .
١٢) في ق : مرجز .
١٣) كل هذا المقطع من « اما بعد » الى هنا لم يرد في ت
١٤) زيادة في ق . اما ت فقد ورد فيها المقطع مختصرًا على الوجه التالي : « لما رأيت ابا الطيب احمد بن الحسين ابن الحسن الشاعر اللغوي المعروف بالمتنبي قد اتى في شعره على اغراض فلسفية ومعاني منطقيه ابردت المرافقه بين ما توارد به في شعره مع ارسطو في حكمه لانه ان كان ذلك عن فحص ونظر . فقد اغرق في درس العلوم وان يكن ذلك منه على سبيل الاتفاق . فقد زاد على الفلاسفة في ذلك . وهو في الحالين على غاية الفضل . وقد اوردت من جمله ما يستدل بها على فضله » (كذا بالحرف) .
١٥) في م و مم : معالم .
١٦) سقطت « كان » في مم .
١٧) في ق : يكن .
١٨) في ق : العربية .
١٩) في ق : على .
٢٠) في ق : الحالين .
٢١) سقطت « وقد » في ق .

علمه وادبه][1] واغراقه في طلب الحكمة [مما اتى في شعره موافقاً لقول ارسطاطاليس في حكمته][2] . والله تعالى الموفق للصواب[3] .

١ قال ارسطو[1]

اذا كانت الشهوةُ فوق القُدرة ، كان هلاكُ الجسم[2] دون بلوغها[3] .

[٦ و] قال ابو الطيب

واذا كانت النفوسُ كبارًا ، تَعِبت في مُرادها الأجسامُ !

٢ قال ارسطو

رومُ نقلِ الطباع عن ذوي[1] الأطباع شديد الامتناع .

قال المتنبي

يُرادُ من القلب نِسيانُكم وتأبى الطِباعُ[2] على الناقلِ !

---

١) زيادة في ق ٢) زيادة في ق ٣) في مم : الى الصواب

[١) في م ومم يذكر اسم الحكيم دائمًا «ارسطو» . وق تسميه دائمًا ارسطاطاليس . وتبدأ ت «بارسطوطاليس» ثم تتابع ذاكرة «ارسطو» . اما الشاعر فذُكر في ق وت دائمًا باسم «المتنبي» ، وفي م ومم تارةً باسم «ابي الطيب» وطورًا «المتنبي» . وقد اتينا رواية م ولم نُشر الى الاختلاف لقلة اهميته .

٢) في ت : النفس ، وهو خطأ . ٣) في ق : بلوغ الشهوة .

والبيت هو ٦ من قصيدة في مدح سيف الدولة ، وقد عزم على الرحيل عن انطاكية ، مطلعها :

اين ازمعت أيُّهذا الهُمامُ ؟ نحن نبتُ الرُبى ، وانت الغَمامُ !

(د : ٣٦٧ — والروائع ١٢ : ٤٩)

٢ هذه الفقرة تؤلف الفقرة الرابعة في ق .

١) في ق : من ردي . . ٣) في مم : الطاع ، وهو غلط .

هو البيت ٢ من قصيدة في مدح سيف الدولة ، مطلعها :

إلامَ طماعيةُ العاذلِ ، ولا رأيَ في الحبِّ للعاقلِ ! (د : ٣٧٦)

٣ قال ارسطو

اذا تجرّدت اللطائفُ من الشكوك ، اكتست [1] الصورة رونقاً [وبهاء] [2] .

[ق] قال المتنبي

اذا خلعتُ على عرضٍ لهُ حُلَلا
وجدتُها منه [3] في ابهى [4] من الحُلَلِ .

٤ قال ارسطو

من استمرّت عليه الحوادث لم يألَمْ بحلولها .

قال المتنبي

اذا اعتادَ الفتى خوضَ المنايا فأهونُ ما يمرُّ [1] به الوحولُ !

---

٣ هذه الفقرة تؤلف الفقرة ٥ في ق ، و٤ في ت .

١) في ق : كست . ٢) زيادة في ق .

٣) في ت : أنتَ . ٤) في مم : افضل .

هو البيت ١٨ من قصيدة في سيف الدولة ، صاحب العرض المذكور في البيت ، مطلعها :

اعلى المالكِ ما يُبنى على الأسلِ والطعنُ عند مُحبّيهنَّ كالقُبلِ

(د : ٣٨٣)

٤ هذه الفقرة هي ٣ في ق . اما ت فقد ذُكر في الفقرة ٣ منها بيت المتنبي وحده ملحقاً بحكمة لارسطو لا تناسبه ، والحكمة هي : « تنوس الحيوان اغراض لحوادث الزمان » وهي مذكورة في الفقرة ٧٨ من م ، والفقرة ٢ من ق . فيكون ان حصل سهو في ت فاسقط بيت المتنبي الموافق الحكمة المذكورة ، ثم أسقطت الحكمة التالية الموافقة البيت التالي ، فضُمّ هذا الى حكمة لا توافقه .

١) في م ومم : تمرّ .

هو البيت ٩ من قصيدة في سيف الدولة قالها ، عند رحيله من انطاكية ، مطلعها :

رويدك ، ايها المولى الجليلُ تأنَّ ، وعُدَّهُ مما تُنيلُ .

(د : ٢٧٠ — والروائع ١٢ : ٤٩)

٥ قال ارسطو

الزمان يُنشئ ويلاشي ، ففناء (١ كلّ قوم سببٌ لكون قوم (٢ آخرين .

[٥ ق] قال المتنبي

بذا قضتِ الأيامُ ما بينَ أهلِها :
مَصائبُ قومٍ ، عند قومٍ ، فوائِدُ !

٦ قال ارسطو

يَسيرٌ من ضياء الحسّ (١ خيرٌ من كثيرٍ من حِفظ (٢ الحكمة .

قال المتنبي

فإنّ قليلَ الحُبِّ بالعقلِ ، صالحٌ ؛
وإنّ كثيرَ الحُبِّ بالجهلِ ، فاسدُ !

---

٥ هي الفقرة ٨ في ق ، و٧ في ت .
١) في ت : فنا ، وهو تصحيف .
٢) أسقطت اللفظة في ق .
والبيت هو ٣٢ من قصيدة في سيف الدولة ، وقد اراد قصد خرشنة فعاقه الثلج عن ذلك ، مطلعها :
عواذلُ ذاتِ الخالِ فيَّ ، حواسدُ : وإنّ ضَجيعَ الخَوْدِ مني لماجِدُ !
(د : ٢٣٠ – والروائع ١٢ : ٥١)

٦ هي الفقرة ٩ في ق ، و٨ في ت .
١) في م : الحِسّ . وفي مم : الحسن .
٢) في ت : درس .
والبيت هو ٣٤ والاخير من القصيدة المأخوذ منها البيت السابق .
(د : ٢٣١)

٧ قال ارسطو [1]

الالفاظ المنطقية مُضرَّة بذوي الجهل لنبوّ [2] إحساسهم عن دركها .

[٦ و] قال ابو الطيب

بذي القباوةِ ، من إنشادِهـا [3] ، ضَرَرُ ؟
كما تضرُّ رياحُ الوَرْدِ بالجُعَلِ .

٨ قال ارسطو

تعاقُبُ ايّام الزمان مُفسِدَةٌ لاحوال الحيوان .

قال المتنبي

فما تَرَجّى [1] النفوسُ من زَمَنٍ أحمدُ حالَيْهِ [2] غيرُ محمودِ ؟

---

٧ هي الفقرة ٥ في ت .
١) ورد خطأ في م : قال ابو الطيّب . ٢) في م وهم : لسوء .
٣) انشادها : الضمير للمدائح التي ينظمها الشاعر .
والبيت هو ١٩ من قصيدته في سيف الدولة المذكورة في الفقرة ٣ (د : ٢٨٣)

٨ هي الفقرة ٦ في ق و ت .
١) في ت : ترجو .
٢) حالَيه : اراد بحالَي الزمن الموت والحياة . والمعنى : اذا كانت الحياة ، وهي احد حالَي الزمان ، غير محمودة ، فاذا تترجّى من الزمان .
والبيت هو ١٠ من قصيدة في مدح سيف الدولة ، ورثاء ابي وائل تغلب بن داود بن حمدان (سنة ٩٤٩) ، مطلعها :

ما سَدِكت عِلّةٌ بمَوْرُودِ أكرمَ من تَغلِبَ بن داودِ
(د : ٣٠٢)

٩ قال ارسطو

من علم ان الكون والفساد يتعاقبان [1] الاشياء لم يحزن لورود الفجائع ، لعلمه أنه من كونها ؛ وهان ذلك عليه [2] [لعجز الكل عن دفع ذلك] [3] .

[٧ ق] قال المتنبي

اذا استقبلت نفس الكريم مصابها بخُبث [4] ثنت فاستدبرته [5] بطيب .

١٠ قال ارسطو

[ترداد] [1] حركات الفلك يحيل [2] الكائنات [3] عن حقائقها [4] .

قال المتنبي

ومن صحب الدنيا طويلا ، تقلبت على عينه ؛ حتى يرى [5] صدقها كذبا .

٩ هي الفقرة ١٠ في ق .

١) في ق زيادة : على ٢) في م وممم : عليه ذلك .

٣) زيادة في ق وت . ٤) بخبث : اي بكره وثقل .

٥) في ق : واستدبرته . وفي ممم : فاستقبلته . وفي م : كُتب « فاستقبلته » ثم زيد فوقها : « فاستدبرته » . معنى البيت : اذا استقبلت نفس الكريم مصيبتها بالجزع ، انثنت بعد ذلك فاعرضت عنها ، وهي صابرة ، لعلمها ان الجزع لا يفيد . وهو البيت ٢٧ من قصيدة يعزي فيها سيف الدولة عن فقد عبده ياك (شباط ٩٥٣) ، مطلعها :

لا يُحزنِ اللهُ الاميرَ ، فانني لآخذٌ من حالاته بنصيبِ . (د : ٢٢٤)

١٠ هي الفقرة ١١ في ق و ت .

١) زيادة في ق ، وقد ورد في ت : ترك .

٢) في م و ممم و ت : يُحيل . ٣) في م وممم : الاشياء .

٤) في ت : على جهاتها . ٥) في ممم : ترى .

والبيت هو ٥ من قصيدة في مدح سيف الدولة وذكر بنائه مرعش (حزيران ٩٥٢) مطلعها :

فديناك من ربع ، وان زدتنا كربا ، فانك كنت الشرقَ للشمس ، والقربا .

(د : ٢٢٥) (لها صلة)

تواريخ الامبراطور نابوليون بونابرت

باللغة العربية

ولاسيما تاريخ تورد الترك اللبناني منها*

بقلم عيسى اسكندر المعلوف ، مؤلف تاريخ الامم الشرقية العام

تواريخ نابليون بالعربية

امعنت في البحث عن التواريخ العربية المؤلفة في الامبراطور العظيم نابليون بونابرت الفرنسي ، فجمعت منها ما اصفه باختصار الآن ، استطراداً لذكر تاريخ نقولا الترك اللبناني الموجود في خزانتي مخطوطاً ، وهو النسخة الكاملة منه التي لم اجد سواها في خزائننا . ولقد عارضتها بنسخة ثانية ، في الجزء الثاني من تاريخ الامير حيدر الشهابي الشملاني المخطوط مطولاً في خزانتي ؛ ووضعتُ هذه المقالة منبهاً الافكار الى هذه التحفة الثمينة ، وهي تاريخ مطوّل بقلم شاهد عياني وقف على اهم الحوادث والاوزاق المتعلقة بها في اواخر القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر . فحبذا طبعه بحواشٍ وتفاسير واستدراكات بلغة مؤلفه الدارجة .

وهذه هي مقالتي :

١ — ان اقدم من ذكر حروب نابليون في القطر المصري بالعربية هو الشيخ عبدالله بن حسن الجبرتي المصري ، المتوفى سنة ١٢٣٧ هـ (١٨٢٢ م) ، الذي كان من كتبة ديوان بونابرت . فألف في تاريخ الفرنسيين في مصر رسالة سماها « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس » . واقتطف منها اشياء لتاريخه المطوّل الذي سماه « عجائب الآثار في التراجم والاخبار » ، المطبوع في مصر في اربعة

* من مقالات مجلة الآثار المحتجبة الآن ، خصّ بها الاستاذ مجلتنا .

اجزاء[1] . وقد الف « مظهر التقديس » الآنف ذكره سنة ١٢١٦ ﻫ (١٨٠٢م). فترجم هذه الرسالة بالفرنسية المسيو كردان (Cardin) المتوفى سنة ١٨٣٨ م، ونشرت هذه الترجمة بسعي المسيو بيانكي (Bianchi) كاتم اسرار ترجمان الملك اذ ذاك .

٢ — التاريخ لحوادث الزمان. وهو يومية تاريخية عربية في الحوادث التي وقعت بالقطر المصري في ذلك العهد ، بقلم السيد اسماعيل بن سعد الخشاب ، من كتبة ديوان بونابرت . كان يدوّن هذه اليومية التاريخية بذلك السجلّ ، ويقتطفون منها الاخبار ويطبعونها ، ويوزّعونها على الجند في الاقطار المصرية ، فكانت اشبه بجريدة يومية عطلت عند خروج الفرنسيين من مصر سنة ١٨٠١ م . وتوفي كاتبها سنة ١٢٣٠ ﻫ . (١٨١٥ م) .

٣ — تاريخ المعلم نقولا الترك الذي انهاه سنة ١٨١٥ م . وساصفه مطوّلا بهذه المقالة ، ولغته عامية ، وعباراته ركيكة.

٤ — تاريخ يوسف الورداء وهو اشبه بكتاب نقولا الترك ، وفيه اطناب وقصائد مدح مثله ، ولم نرَه . بل اشار اليه جودت باشا في تاريخه التركي.

٥ — رسالة للقس حنانيا المنير في الاحتلال الفرنسي لمصر وسورية . وهي من مخطوطات خزانتي ، مختصرة.

٦ — ترجمة كتاب تركي للعربية ، ذُكر في الجزء الثاني من تاريخ الامير حيدر الشهابي الشملاني المخطوط في خزانتنا . وقد انتخب منه اشياء ضمها الى تاريخ نقولا الترك الذي نشرهُ ايضاً .

٧ — تاريخ ملوك فرنسا . تاليف المسيو مونيقورس الفرنسي ، عرّبه حسن قاسم ، ونقحه رفاعة بك الطهطاوي . وهو يشمل تواريخهم من اوائل القرن الخامس الى سنة ١٨٤٠ م . طبع ببولاق سنة ١٢٦٤ ﻫ (١٨٤٧ م).

٨ — سيرة نابليون الاول . تأليف الكولونل لويس كاليگوريس

---

١) ترجم تاريخ الجبرتي المطوّل هذا بالفرنسية لجنة من الادباء في القطر المصري وهم: الشقيق منصور بك ، وعبد العزيز كحيل بك ، وجبرائيل نقولا كحيل بك ، واسكندر بك هون .

(L. Calligoris) الفرنسي. طبع بباريس سنة ١٨٥٦ ، في ٥٨٤ صفحة بقطع الربع ، وفيه اغلاط مطبعية وانشائية كثيرة ، ركيك العبارة.

٩ — تاريخ نابليون بنبارتا الاول. وهو الكتاب الموصوف اعلاه في رقم (٧) ، أصلح ونُشر باضافات اليه من تاريخ نقولا الترك المذكور في رقم (٣) . طبع في بيروت بالمطبعة الوطنية سنة ١٨٦٨ ، في ٤٣٧ صفحة بقطع الربع الصغير .

١٠ — تاريخ نابليون بونابرت الاول. هو المذكور في رقم (٧) ايضاً ، طبعه امين الخوري في بيروت في ٤٨٧ صفحة بقطع الربع.

١١ — تاريخ فرنسا الحديث . للشيخ خطار الدحداح ، ولسليم البستاني. وفيه وصف مطوّل لحروب نابليون وشؤونه المختلفة ، وحالة فرنسة في عهده . ترجم القسم الاول منه الشيخ الدحداح واتم ترجمته البستاني من سنة ١٧٨٩ — ١٨٢١ . طبع بمطبعة المعارف ببيروت سنة ١٨٨٤ ، في ١٠٤٠ صفحة بقطع ربع كبير .

١٢ — نابليون الاول والمقابلة بينه وبين اعظم مشاهير الرجال . وهو فصل من تاريخ الامبراطورية الفرنسية للمسيو تيارس ، تعريب الشيخ سليم خطار الدحداح . نشر بمطبعة الارز في جونية (لبنان) سنة ١٨٩٧ ، في ٣٨ صفحة بقطع ثمن عريض.

١٣ — حِكَم نابليون الاول لكل يوم من الاشهر الاثني عشر حكمة. عربها عن الانكليزية جميل بك المعلوف سنة ١٩١٣ ، لمجلة الآثار . ونشرت في سنة الآثار الرابعة من صفحة ٢٨ فصاعداً.

١٤ — تاريخ نابليون بونابرت في مصر وسورية . مقتضب من « تاريخ فرنسة الحديث » الموصوف في رقم (١١) نُشر بمطبعة الفرزوزي في الاسكندرية سنة ١٩١٤ ، في ٢٠٠ صفحة.

١٥ — تاريخ نابليون . تعريب الياس افندي طنوس الحويك . نشرته جريدة الهدى في نيويورك بمطبعتها ، سنة ١٩١٥ ، في ٢٧٤ صفحة بقطع الربع .

١٦ — فتح مصر الحديث او بونابرت في مصر . لاحمد حافظ عوض

بك ، صاحب جريدة « كوكب الشرق » مصوّر ، بمصر في اوائل سنة ١٩٢٦ ، في ٤٤٠ ص ، اعتمد فيه مؤلفه على « الجبرتي » وغيره .

١٧ – تاريخ نابليون . لالياس افندي ابي شبكه . بمطبعة سليم صادر في بيروت ، في ٤١٦ ص بقطع الربع ، سنة ١٩٢٩ .

١٨ – تاريخ نابليون المطوّل . لالياس افندي طنوس الحويك . نشره حبيب افندي زيدان بمصر ، ظهر منه مجلدان منذ بضع سنوات . وهو مطوّل ، مصوّر .

١٩ – قلعة محمد علي لا قلعة نابليون . لعبد الجواد الاصمعي . طبع بمصر منذ بضع سنوات ، بقطع نصف .

٢٠ – نابليون ، احدث تاريخ له . عربه الخوري انطون يمين عن تأليف الكومندان العسكري كلود برجه . بمطبعة جريدة العلم في بيت شباب ، سنة ١٩٢٦ ، في ٢٢٦ ص . بقطع ثمن صغير .

٢١ – تاريخ نابليون بونابرت الاول . للمستر هربرت فشر ، وزير معارف انكلترة قبلًا ، عربه محمد بك نوفل ، ومحمد مصطفى زياده . طبع بالمطبعة الرحمانية في القاهرة ، سنة ١٩٢٧ .

٢٢ – انفس ما كتب نابليون من رسائل وخطب وانباء رسمية عن اعمال جيشه . عربه الخوري انطون يمين ، ونشر بمطبعة يوسف صادر في بيروت ، سنة ١٩٣٠ ، في ١٤٠ صفحة بقطع ثمن .

هذا ما وصلت اليه يد البحث من تواريخ هذا الامبراطور الفاتح العظيم باللغة العربية ، فضلًا عما كتبته المجلات ، ونشر في الرسائل من انبائه وحكمه ونوادره ورسائله وحروبه لكثير من المؤرخين والكتبة بلغة الضاد في الوطن واوربة واميركة . ومنها تاريخ « سليمان باشا » للمعلم ابراهيم الورا وغيره .

تاريخ نابليون لنقولا الترك

اتصلت بخزانتي هذه المخطوطة النفيسة بعنوان « ذكر تملك جمهور الفرنساوية الاقطار المصرية والبلاد الشامية » تاليف المعلم نقولا الترك . وقد قال في مقدمته بالحرف :

«فحق لنا ان نؤرخ في هذا الكتاب . لانتفاع الطلاب . ما حدث من التغيير والانقلاب . بما اجرته يد الاقدار . في هذه الامصار . وعما اذنت به العزة الالهية . بظهور المشيخة الفرنساوية . وما تكوّن بسببها من الفتن في البلاد الافرنجية . وديار (كذا) الرومية . وقتل سلطانهم وخراب بلدانهم . وانتشار شانهم وربحهم من بعد خسرانهم . وذلك بظهور فرد افرادهم . وقايد اجنادهم . الليث الشديد . والبطل الصنديد . امير الجيوش الامير بونابرته وذكر الحروب التي ثارت بتلك الممالك . وحدوث الشرور والمهالك . وقهر البلاد التي اتصلوا اليها . والانتصارات العظيمة التي حصلوا عليها . باتقالهم الغريب من الغرب الى الشرق . وسرورهم العجيب اسرع من البرق . وتزولهم على جزيرة مالطه . كالصواعق الهابطه . وفتوحهم ثغر الاسكندرية واستيلائهم على الاقطار المصرية . وذكر ما تمّ لهم من التمليك . في خروجهم مع جملة التز والمماليك . وسيرهم على الاقطار الشامية . ومحاصرتهم لمدينة عكا القوية . مسكن ذلك الوزير الجبار . المعروف باحمد باشا الجزّار . ورجوعهم الى ارض مصر . وما تمّ لهم في ذلك العصر . وكفاحهم مع الدولتين العظيمتين . الدولة العثمانية . والدولة الانكليزية . ومصادماتهم للعساكر البرية . والبحرية . وخروجهم من مصر القاهرة بالتسليم . من بعد حروب وافرة وهول عظيم . وذلك في مدة ثلاثة اعوام . في التمام . ابتدازها شهر محرّم الحرام . افتتاح عام الف ومايتين وستة عشر هجرية (١ . وآخرها شهر وبيع الثاني عام الف ومايتين وستة عشر بالهجرة الاسلامية (كذا) . ثم يتلوه ذكر تملك الدولة العثمانية . والدولة الانكليزية . من بعد خروج الدولة الفرنساوية . وذكر ما تم لهم مع زمرة التز والمماليك المحمدية . من بعد فتوحهم مصر الكنانه . وبالله القوة والاعانه . » (انتهت المقدمة)

وبعد ذلك يبدأ بلمعة في ترجمة نابليون باختصار ، ثم يدخل في موضوع المشيخة الفرنسية متطرقاً الى حوادث نابليون وحروبه .

ونسختنا الموصوفة الآن هي بخط نسخي عليه سحنة من الجمال ، بحبر اسود ، وورق سميك خشن ، تقع في ٣١٢ صفحة بقطع الربع ، طول صفحاتها ٢٢ سنتيمتراً وعرضها ١٥ س . والكتابة في كل صفحة بطول ١٧ س . وعرض ١٢ س . وفي كل صفحة ٢١ سطراً ، ومعدّل السطر عشر كلمات .

وقد جاء في آخرها ما نصّهُ ، ونهايته سنة ١٨١٥ م :

« وهذا ما انتهى الينا من اخبار الفرنساوية بالتمام . ولله الحمد على الدوام »

ثم هذه العبارة بالحرف :

« قد تم نساخة هذا الكتاب يوم الخميس ١١ في نيسان وذلك بيد كاتبه العبد الحقير

---

١) الموافقة لسنة ١٨٠١ م

الذليل الخاطي اقل عباد الله يوسف رباحيه المجمي اصلًا وذلك في قرية زحلة العامرة وهو برسم الجناب المكرم . . . . . (١ سنة ١٨٢٩-و١٢٤٤ ﻫ انتهى

ولقد بحثت عن نسخة ثانية لهذا الكتاب فلم اجدها اولًا ، ولكنني وقفتُ على ما طبع منه بدار الطباعة السلطانية في باريس سنة ١٨٣٩ م. ، بهذا العنوان :

Histoire de l'expédition des Français en Egypte.

Par Nakoula El-Turk

Publiée et traduite

Par M. Desgranges Aîné

Secrétaire interprète du Roi

Paris.

Imprimé par autaristation du Roi

A l'Imprimerie Royale

M DCCC XXX IX

وهو يقع في ٢٨٦ صفحة بقطع ثمن ، وبحرف دقيق ، مذيّلًا بملاحظات واستدراكات باللغتين العربية والفرنسية .

فعارضت النسختين : المخطوطة عندي ، والمطبوعة في باريس ، فوجدت المخطوطة واسعة مفصّلة ، والمطبوعة مقتصرة على القسم الاول من المخطوطة اي الى الصفحة ١٦٣ . والباقي ، وهو ١٤٩ صفحة غير مطبوع .

وبقيت انتهز الفرص الى ان عثرتُ على نسخة ثانية مخطوطة لتاريخ الترك في مجلد كبير ، اتصل بخزانتي ، وهو الجزء الثاني من تاريخ الامير حيدر الشهابي الشلاني[٢] الذي طبع في مصر عن نسخة سقيمة ، وليس فيها هذا التاريخ

---

١) قد كشط اسم الامير لان الكلام يدل على امارته ، ولعله من امراء بسكنتا اللمعيين الذين كانت زحلة باقطاعهم .

٢) يقع هذا الجزء في ٥٣٨ صفحة بقطع نصف كبير ، من سنة ١١٠٩ ﻫ (١٦٩٧م) الى ١٢٣٣ ﻫ (١٨١٧ م) ، وفيه تفاصيل وافية لم اجدها في النسخ الاخرى المخطوطة ، ولاسيما نسخة المكتبة الشرقية للاباء اليسوعيين ، وفي تضاعيف النسخة زيادات مهمة مثل تاريخ الحملة الفرنسوية بمصر وسورية ، وتواريخ خلفاء المسلمين ، ومراسلات ابن السمود ، وتاريخ تيمور ، وبطاركة الموارنة ، ورسالة الخوري يوسف مارون ، ولعلها من تاريخ المنطوريني .

لنابليون .

قارضت ما في تاريخ الامير بمخطوطتي فوجدت فروقاً ذات شأن بزيادة ونقصان وتصرّف ، مما يدلّ على اختلاف النسخ وتلاعب النساخ . ولكنّ النسختين هما واحدة واقتصرت على معارضة نسختي المنفردة على حدة بما طبع منها في باريس كما سيجيء . وربما عدت الى معارضة المخطوطتين ووصف ما بقي بدون طبع .

نقولا الترك مؤلف هذا التاريخ

اقتنيتُ نسخة من ديوان هذا الشاعر ، من زمن طويل ، ذات خروم اصلحت معظمها ، ووضعتُ للناظم ترجمة مطوّلة بتفصيل وافٍ واستقراء اوصلني اليه التنقيب . وتلك النسخة هي الآن في «خزانة الجامعة الاميركية» مما ابتاعته مني منذ بضع سنوات . فأقتصر الآن على ترجمة مختصرة لهذا المؤلف بهذه العجالة :

هو نقولا بن يوسف بن ناصيف آغا الترك ولد سنة ١٧٦٣ ، وتوفي سنة ١٨٢٨ ، بدير القمر حيث ولد . واصل اسرته من الاستانة كما يدلّ على ذلك قوله في قصيدة نظمها ببونابرت وترجمها بالفرنسية المسيو مارسل مدير المطبعة الملكية :

« نظم هذه القصيدة نقولا الترك ولد يوسف الترك الاستانبولي الاصل »

وكان الترك يتردد على قصر الامير بشير الشهابي الكبير ، الذي قتل والده ، يوسف الترك ، لانه كان من رجال ابي عساف جرجس باز ، مدبر الامير يوسف واولاده ، وذلك سنة ١٨٠٧ . كان نقولا قبل هذا التاريخ في مصر ، واتصل بخدمة ديوان بونابرت بفرعه العربي مثل غيره من السوريين والمصريين . وعاد من دمياط الى دير القمر سنة ١٢١٩ هـ (١٨٠٤ م) ، ومدح الامير بشير بقصيدة في هذه السنة مطلعها :

نسخة المخوري بطرس فرج صفير من كفرذبيان سنة ١٨٤٤ ، وكان مرشداً للامير حيدر اسميل وتوفي سنة ١٨٨٣ ومن اولاده ، المرحوم المخوري جرجس فرج صفير

دنا البشر المجيد المستطابُ واشرق في مماليه الشهابُ

وختامها التاريخي قوله :

بختم مديحهم انشدت أرّخ دنا البشر المجيد المستطابُ

وفي ديوانه منظومات لهذا الامير بعنوان : « الدر النضير في مدح الامير » مدح فيها الامير واولاده ، وفي مقاماته الاحدى عشرة ذكر لهذا الامير منها « المقامة الديرية » طلب فيها من الامير داراً فاعطاه اياها سنة ١٢١٩ ﻫ (١٨٠٤م) و « اللبنانية » طلب منه فيها فروًا ، و « الثلجية » في مصايف مصايده ، و « العيسوية » في وصفه . وفي ديوانه كثير من المراسلات والمساجلات والتواريخ مع شعراء وقته كالشيخ عمر البكري ، والسادة احمد البربير ، وعبدالله الميقاتي ، وعثمان الحموي ، ونصرالله الطرابلسي ، وبطرس كرامه الحمصي . وقد نشرت مجلة « المشرق » بعض اشعاره . وتقرب من الامير بشير الكبير ، والامير حيدر الشهابي المؤرخ ، والشيخ علي جنبلاط ، وعلي بك الاسعد المرعبي ، وسليمان باشا والي عكا ، والمعلم حايم فارحي وغيرهم . وله فيهم مدائح بشعره الركيك ، مما جمع في ديوانه الكبير . وكان له ولد اسمه فتح الله توفي يافعاً ، فانقطع نسله . واما ابنته وردة الشاعرة فتزوجها حبيب الصوصه من دير القمر[1] ، وكانت شاعرة تنسخ اعمال والدها ، بعد ان فقد بصره . ولها ولدان اديبان توفيا بلا عقب . واهم آثار الترك « هذا التاريخ الموصوف الآن » .

معارضة المخطوطة بالمطبوعة

قلت ان المطبوعة من تاريخ نابليون للترك هي من الصفحة الاولى من مخطوطتي الى الصفحة ١٦٣ ، وآخرها في المطبوعة والمخطوطة هذه العبارة : « وكان مدة حصار الاسكندرية ستون يوماً وكان منتها (كذا) خروجهم في آخر شهر ربيع الثاني سنة ١٢١٦ (٢ وحضرة (كذا) البشاير الى الصدر الاعظم بمدينة مصر قاهرة بفرحاً عظيم وشنكاً (كذا) الحمد لله على تأييد وانتصار المسلمين نصرٌ من الله وفتح مبين.» انتهى

١) راجع ترجمتها بمجلة الآثار لكاتب هذه المقالة (١ : ٣٦٣)

٢) الموافقة لسنة ١٨٠١ م

واول القسم الباقي من المخطوطة الـذي لم يطبع هو من نصف الصفحـة ١٦٣ ، واوله :

« فهذا ما كان واما ما كان من ابونابارته لما انه عاد راجعاً من مصر الى باريز يتنـاغم وافرة وحين دخل باريز بدأ يحتال على الفرنساويين والذين كانوا اتفقوا جميعاً وتعاهـدوا عهداً على انه من المستحيل انهم عادوا يقيمون عليهم ملكاً فصار يخادعهم ويتملقهم بصناعة (كذا) ومنية طامعاً في جلوسه على السدة الملوكية الخ الخ . . . »

فنعود بعد هذه التوطئة الى معارضة ما طبع بمثله من المخطوطـة ، ونترك الكلام في القسم الثاني الباقي بلا طبع ، الى فرصة ثانية فنقول :

في المخطوطة زيادة بين المقدمة واول التاريخ ، وهي لمة من سيرة نابليون ، في الصفحة ١١ من المخطوطة الى قوله « واما سبب قتل السلطان لويس . . . » فهذا بدء الكتاب في النسختين على ان بين ما في الصفحـة ٣ من المطبوعة ، و ١١ من المخطوطة فرقاً :

فان المطبوعة تقول : سنة ١٧٩٢م (١٢٠٧ هـ) حدث اضطراب في باريز — والمخطوطة تقول : سنة ١٧٩٠ م (١٢٠٥ هـ).

واسم الحصن الذي سجن به لويس السادس عشر في المطبوعة « طَمِل » ، وفي المخطوطة « تيتيرا » .

وفي الصفحة ١٢٩ من المطبوعـة تواقيع في صورة الكتابات من « محفـل الديوان الخاص » زائدة عما في المخطوطة الصفحة ٩٠ . فهناك مصطفى الصادي الشافعي ، وهنا « الساري » ؛ و « سليمان الفيومي المالكي » ، وهنـا سقط « الشافعي والمالكي » . وبالمطبوعة جاءت التواقيع بعد ما اتفقت به النسختان المذكورتان هكذا وهي :

« الفقير لطف الله العمري — الفقير يوسف فرحات — الفقير جبران سكروج — الفقير لومار — الفقير بودوف — الفقير ذو الفقار كتخدا كومسار الاسلام — نظر علم وكيل الفرنساوية جلوتيه »

فكل هذه الفقرات ساقطة من مخطوطتي هذه .

وبالمطبوعة ايضاً : «الفقير علي كتخدا بجرلي باش اختيار» ، وبالمخطوطة « الفقير كتخدا باش اختيار المستحفظات بمصر » .

وفي نسختي المخطوطة زيادة ليست بالمطبوعة ، وهي بين الصفحتين ٩٠ و ١٠٤ من نصف الاولى الى اول الثانية ، زيادة بين قوله « طبعة (كذا) بمطبعة الفرنساوية العربية في محروسة مصر » صفحة ٩٠ و ١٠٤ من المخطوطة وهو نحو ١٤ صفحة لا توجد بالمطبوعة بين صفحتي ١٢٩ و ١٣٠ — لانه بعد قوله الاول « طبع بمطبعة الفرنساوية بمصر المحروسة » يقول حالًا بالمطبوعة : « ثم حضر الجنرال كليبر من دمياط الى بولاق والتقاه القائمقام الجنرال دوكا ... الخ » ، وهذا الكلام يأتي في المخطوطة بعد ١٤ صفحة جاء فيها صفحة ٩٠ — اوله :

« وقد طبع هذا الفرمان وتوزع على الاقاليم المصرية وكان ما ذكر بهذا الفرمان عند قصده لتهذيب اخلاقهم . وتليين اعناقهم »

وآخره صفحة ١٠٤ :

« تواقيع — باش جاويش التفكجية — الفقير لطف الله المصري — الفقير يوسف فرحات — الفقير جبران الكروج — الفقير بودون — الفقير ذو الفقار كتخدا كوميسار الاسلام — نظر فيه وعلمه وكيل الفرنساوية جاوتيه »

وهذا يدل على ان الكلام في المطبوعة سقط كله من بين هاتين الصفحتين ، اي ٩٠ و ١٠٤ ، فرُبط القولان مقتضبين .

وفي الصفحة ١٥٩ من المخطوطة نقص في التواقيع عن المطبوعة في الصفحة ٢٢١ . ولهذا تنقل التواقيع المطبوعة بحروفها .

وكذلك ذكرت المخطوطة شهر «ميتيدور السنة التاسعة للمشيخة» والمطبوعة ذكرت هكذا : « في تاريخ ميدرر سنة التاسعة للمشيخة في نصف النهار . الخ » الصفحة ٢٢٠ من المطبوعة .

اما التواقيع في المطبوعة فهي هكذا ، الصفحة ٢٢١ ، ومن المخطوطة الصفحة ١٥٩ :

« وتزلو جنرال ويرجاه — موران جنرال ويرجاه — تارار جنرال ويرجاه — حن هوب جنرال ويرجاه انكليز — عثمان بك وكيل يوسف باشا — اسحاق بيك وكيل قبطان باشا — قد اثبت ذلك هلي هونجنسون ساري عسكر عام — قد اثبت ذلك للورد كايط جام استونسون قبطان مركب انكليز .

وتحت هذه التواقيع ما نصهُ :

« نحن قد اثبتنا جميع الشروط الواقعة في هذا الاتفاق لاجل حلو(١ مصر وتسليمها للباب العالي المشيد - يوسف باشا وزير المقام - ونحن قد شهدنا واثبتنا جميع هذا الاتفاق الواقع في هذه الشروط لاجل حلو(٢ مصر - حسين قبطان باشا .

« لقد ثبت وتحقق هذه الشروط في ميدور سنة ٩ للمشيخة - الجنرال فاريون بليار »

« قد طبعت في مطبعة الفرنساوية بمصر »

والقطعة في مخطوطتي من الصفحة ١٦٠-١٦٣ آخر ما طبع في باريس تختلف عن القطعة التي هي مثلها في المطبوعة من الصفحة ٢٢٢-٢٢٩ آخر ما طبع .

ومما في المطبوعة بيتا شعر ايضاً في ما كان بمصر من الامان بعد خروج الفرنساوية ، وهما من نظم الترك لانه قال :

« وانشدت بذلك شعرًا وهو هذا :

أنى صدر الصدور لارض مصر ... بنصر اشرقت فيه الديانة

بام قد كساهُ النور أرخ ... به فتحت بيوسف الكنانة

وهي تاريخ هجري لسنة ١٢١٠هـ . (يوافقها من التاريخ المسيحي ١٧٩٥م)

وفي المطبوعة تعليقان: (الاول) على سيرة نبوليون من الصفحة ٢٧٣-٢٧٨ . و (الثاني) على ما جاء في الكتاب من الكلمات والاصطلاحات كالفز ، والريالة ، والعجمي ، وجبال الاباز ، وشورباجية ، ووكالة ، وبيورلديات ، والمحمل ، والهوارة ، وطوزسينا ، والمجانة . ثم قصيدة « لله عصر زها .. » من نسخة في خزانة باريس مخطوطة وهي في مخطوطتنا ص ٩٢ . وقصيدة « وفت المنية والحياة قد انقضت » في رثاء الجنرال كليبر المقتول ، وهذه توجد في الصفحة ١٤٦ من مخطوطتنا . ثم شرح قوله « بني متوال » و « خرسان » و « شنك » التركية ، و « غلابين » و « سنجاقية » و « غروش اسدية » و « المصالحة » و « عرضي » التركية ، « يعلم عليها » اي يصدقها . وهذا التعليق هو من الصفحة ٢٧٧-٢٨٧ وفي بعضها نظر :

وفي المطبوعة مقدمة في التاريخ وواضعه والنسخ التي نقل عنها ، وكلها مفيدة ، وان احتاج بعضها الى التمحيض ، والله اعلم بالصواب !

(١ و٢) الاولى ان تكون (خلو) بنقط اولها اي إخلاء .

رحلة الى قنوبين

في جبل لبنان

سنة ١٧٢١

يبعث بها الاب بيكوه المرسل اليسوعي الى الاب فاوريو

نقلها عن الافرنسية

القس انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس معاملة جبيل والبترون

٢

قنا في السابع عشر الى مار اليشع [1]، الواقع على مسافة نصف ساعة من مار سركيس، ورافقنا اليه نائب الدير وراهبان آخران. اما مار اليشع فمشيد في سفح جبل هائل، على ضفة نهر قاديشا، اي النهر المقدّس، الذي ينساب في وادٍ ضيّق، ومن جانبيه اشجار الصنوبر والجوز والبلّوط والكروم. وعلى مسافة ثلاثين قدماً من جانبي النهر، سلسلة جبالٍ صخريّة هائلة.

وفي تلك الصخور مغاور وكهوف كانت قديماً صوامع متوحدين عديدين اختاروا عيشة الانفراد، وتحمّلوا شظف العيش ومارسوا التوبة المتواصلة الشاقة.

انّ دموع هؤلاء النسّاك كانت السبب لتسمية هذا النهر المنبجس من جبال لبنان، بالنهر المقدّس. وانّ منظر كهوفٍ ونهر في قفر مخيف مثيرٌ في القلب عوامل الانسحاق والتوبة والشفقة على نفوس شهوانية عالميّة تتضل لذة أيام وفرحها على ابديّةٍ سعيدة.

أما رئيس مار اليشع فقبلنا بابهى مظاهر المحبة، وجمهور ديره يتألّف من

---

١) راجع ما جاء عن هذا الدير في تاريخ الطائفة للدوجي، ص ١٥٩؛ وفي تاريخ الرهبانية اللبنانية للاب بليبل، مج ١، ص ٢٤ و٢٥ و٢٢٣؛ وما كتبناه في مجلة المشرق (٢٤[١٩٢٦]: ٧٤٦-٧٤٩).

عشرين راهباً ماروناً يُلقَّبون بالحلبيين ، وهم وحدهم يستحقون اسم الرهبان .

أسكنهم هذا الدير منذ زهاء خمس وعشرين سنة كاهنٌ قديس يُدعى عبدالله [1] ، وسار في تدبيرهم ونظام معيشتهم على مشورة الاب المكرَّم نقولا بازير [2] (Bazire) وكان هو اوّل رئيس عليهم ثمّ أُخذ من ديره قسراً وسيم اسقفاً ، وديرنا في عينطورة هو في ابرشيته [3] ، وأقام خلفاً له في ديره الاب جبرائيل [4] الراهب النادر باحتشامه ومثله الصالح ، والمحترم والمبجّل عند عموم الموارنة والروم والاسلام انفسهم نظراً الى سموّ معارفه في اللغة العربية .

يقضي الرهبان الحلبيّون هؤلاء سنتين في التجربة . لا يأكلون اللحم ابداً ، والفقر لامعٌ في ملابسهم . يرتّلون الصلاة نصف الليل ، وقد حضرناها عندهم

---

١) هو الاب عبدالله قرألي الحلبيّ مؤسس رهبانيتنا اللبنانية والمحسن الكبير الى طائفتنا . ولا بدع ان دعاه الاب بيكوه « بالكاهن القديس » لان شهرة فضائله ملأت انحاء جبل لبنان وسورية وما جاورها من البلدان ، وتحدثت بها الالسن ، واجرى الله على يده الكرامات في حياته وبعد مماته . وُلد هذا الاب سنة ١٦٧٤ ، ولبس الزيّ الرهبانيّ في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٦٩٥ ، وسيم كاهناً في ١٤ ايلول ١٦٩٥ . وانتُخب رئيساً عاماً ادواراً ، ورقي الى اسقفية بيروت في ١٧ ايلول ١٧١٦ . ورقد بالرب في ٦ كانون الثاني ١٧٦٣ ، ودُفن في الرمس المدّ له بكنيسة دير سيدة اللويزة . ولا تزال الى الآن محفوظة في هذا الدير عمامته (طاقيته) ومنديلها كأثمن الذخائر . طالع ترجمته المطوّلة التي درّجها عشيره وتلميذه الاب توما اللبودي ، ونشرها الاب رباط في مجلة المشرق (١٠[١٩٠٧] : ٦٢٥ و٩٩٥ و٧٣٠ و٧٩٨)

٢) يظهر ان الاب بازير كان من اصدقاء الاب قرألي ، فكان يتداول واياه في وضع الفرائض الرهبانية .

٣) ان دير عينطورة هذا هو اليوم مدرسة الآباء اللازريين المشهورة .

٤) هو الاب جبرائيل فرحات الشهير احد مؤسسي رهبانيتنا الذي خلّف للغة العربية من تصانيفه تركة علمية لا تعادل بثمن . ولا عجب اذا أجلّه الموارنة والروم والاسلام ، فانه احد اعلام الامة المسيحية في الفضل والعلم . وُلد في حلب في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٦٧٠ ، وترهّب ١٦٩٥ ، وسيم كاهناً ١٦٩٧ ، وأقيم رئيساً عاماً من سنة ١٧١٦ الى سنة ١٧٢٥ التي فيها رقي الى اسقفية حلب في التاسع والعشرين من تموز باسم جرمانوس . وتوفي في ١٥ تموز ١٧٣٢ . عليك بترجمته النفيسة التي ألّفها المؤرخ المدقّق المرحوم المطرسقف جرجس منش ونشرها في السنة السابعة من مجلة المشرق (١٩٠٤) ثم طبعها على حدة بعنوان : « المستطرفات في حياة السيد جرمانوس فرحات »

ثلاث مرّات ، وكانت لنا خير قدوة حشمتهم في الكنيسة وحرارتهم في الصلاة. يصرفون قسماً من نهارهم في حراثة الارض وفي الاعمال الخدمية ، ويكشفون افكارهم لرئيسهم كل يوم صباحاً ومساء ، ويبذلون في حفظ فرائضهم ، ولاسيما فريضتي الصمت والصوم الشاقّ ، منتهى الدقّة . يندرُ ان يروا الناس ، ولا تدخل النساء كنائسهم . وان بدا من راهب تراخٍ او تقصير في واجبات دعوته فيخرجه الرئيس ، ولو كان مضى على نذره عشر سنوات . وللرئيس استطاعة على حلّه من نذوره [1] .

أقمنا في ذلك الدير الى الثامن عشر . وغادرناه صباحاً مع هداتنا الى قنُوبين الذي يبعد عن مار اليشع نحو ساعتين. وقد وقعت اعيننا على كثير من صوامع كان يسكنها المتوحدون قديماً ، وقد اقفرت وهدمها المتاولة والمسلمون.

ورأينا ايضاً اطلال بعض مناسك كائنة في بطون صخورٍ ذات تحدُّرٍ بليغ بحيث يصعبُ معه فهم الواسطة للصعود اليها.

دخلنا معبداً محفوراً حفراً متقناً ، فيه مذبحان على أحدهما صورة العذراء ، وعلى الآخر صورة القديس انطونيوس. والى جانب هذا المعبد في الصخر نفسه ، بعضُ صوامع لم تعدْ لائقةً بسكنى المتوحدين فيها مرتاحين . والنهر المقدّس يجري في سفح هذه الجبال على مسافة نحو من ستّ ساعات.

وصلنا دير قنُوبين [2] وهو كرسيّ بطريرك الموارنة . فقُبلنا فيه بكل محبّة وعطف . فيه عدد قليل من الرهبان . مساكنهم حقيرة فقيرة ، وكسوتهم ومعيشتهم أفقر وأحقر . يعيش البطريرك والرهبان وبعض الاساقفة الموارنيين معاونيه باتحادٍ كامل وآدابٍ قدريةٍ في البساطة والطهارة . يُترلون بالهفوات الطفيفة عقاباً صارماً ، ويقبلون الغرباء بالرغم من فقرهم المدقع بكل محبةٍ وبشاشةٍ وفقاً لروح الضيافة عندهم.

---

١) ان قانون رهبانيتنا في ذلك العهد كان مثبتاً من السيد البطريرك ، لا من الكرسي الرسوليّ ، لذلك كان للرئيس العام استطاعة الحلّ من النذور .

٢) طالع ما كتبه عنه الاب لامنس في كتابه تسريح الابصار ، مج ١ ص ١١١ .

قابلنا البطريرك [1] ببزته الحمراء الكاملة المذيلة بالفرو ، من تحتها اللباس الارجواني ، وهو متجلببٌ بثوبٍ من الاحتشام أكمل.

ومعبد الدير على اسم السيدة العذراء ، وقد مضى على تشييده ، على ما فهمنا من البطريرك ، اربعة عشر جيلًا . والمعبد مغارةٌ فسيحة جميلة مزدانةٌ بتصاوير كثيرة منها صورة اينوشنسيوس الحادي عشر [2] ، ولويس الرابع عشر [3] ، أرانا اياهما البطريرك نفسه . وقد حضرنا اكثر من مرةٍ صلوات النهار والليل التي تمت على أوفر عبادةٍ وتقوى . طقسهم (ليتورجيتهم) قديم سرياني تتخلله بعض مقاطع عربية مكتوبة بالحرف السرياني المدعو بالكرشوني.

وغُرَف الرهبان مفاور بجانب الكنيسة يخرجون منها ويرجعون اليها متحملين حرّ الصيف وقرّ الشتاء. ومن جملة تلك الغُرَف غرفةٌ نُقشت على جدرانها اسماء الاباء اليسوعيين الثلاثة : يوحنا برونو (Bruno) ، ويوحنا المعمدان اليان (Aelien) ، وايرونيموس دنديني (Dandini) الذين ارسلهم سنة ١٥٨١ البابا غريغوريوس الثالث عشر ، ثمّ اكليمنضوس الثامن ، قصّادًا الى الموارنة.

وقد شرّفنا البطريرك كل مدّة اقامتنا في قنوبين باجلاسه إيانا معه لتناول الطعام على مائدته مع رهبانه ، حيث شهدنا القناعة باكمل مظاهرها ، لانّ طعامهم سلطة خضر وفجل وقليل من السمك المملّح مع خبز يابس أسود . أمّا خمرتهم ففاخرة لم يُشرب في فرنسة أجود منها.

بذل البطريرك جهده ليبقينا زماناً اطول في ديره ، لكننا اعتذرنا بانّ وقتنا محدود ، واستأذنّاهُ بالسفر . وقبل المسير حضرنا صلاة الليل وتلونا القدّاس ، ثمّ اكرمنا غبطته بوشاحه [4] الجديد ، وزوّدنا ببركته ، وسافرنا

---

١) هو السيد يعقوب عوّاد الذي رقي العرش البطريركي سنة ١٧٠٦ ، وقضى نحبه في ٩ شباط سنة ١٧٣٣ . راجع سلسلة البطاركة ص ٤٤ و٤٥ ، والفصل الذي كتبه عن البطريرك يعقوب عوّاد الموسيو ريسطهوبر في كتابه « تقاليد فرنسة في لبنان » ص ٢٥٠-٢٨٦

٢) تسنّم العرش البابوي سنة ١٦٧٦-١٦٨٩

٣) جلس على عرش فرنسة من سنة ١٦٤٣-١٧١٥ وكان عمره حينئذٍ خمس سنوات.

٤) بدلة التقديس.

مصحوبين بشماسه (الانجيلي) الخاص ليهدينا في طريقنا الوعرة المسالك.

وعلى رمية حجر من باب الدير معبدٌ مُقام على اسم القديسة مارينا . وكلُّ ذلك المكان معطّرٌ برائحة قداسة هذه العذراء ، وهو حافظٌ لها احتراماً لا يوصف .

لا يُخالج أحدًا ريبٌ بما يخبرنا التاريخ عن حياتها : فانها قد لبست لباس الرجال ، ودخلت دير الرهبان ، وخدمت الله بهذا الثوب سنين عديدة . وقد سمح الله فشكيت زورًا بفعلةٍ شنعاء مع ابنة قريبة من مسكنها ، فحكم عليها رئيسها باعمال توبةٍ شاقةٍ تمارسها في مغارةٍ صارت بعدئذٍ معبدًا على اسمها وهي الى الآن تُكرَّم فيه . على انَّ الله الذي يهتمُّ دائمًا باوليائه اظهر براءتها المشهورة ، وأثاب فضيلتها حتى في هذه الحياة الدنيا ، بعجائب عديدة جرت عند قبرها .

صلّينا في هذا المعبد التقويّ واخذنا طريق دير القدّيس انطونيوس[1] الذي يبعد نحو ساعتين من قنوبين وسلكنا اليه في جبل ما رأيت في حياتي اصعب منه صعودًا ولا هبوطًا . ودير القديس انطونيوس هذا قائمٌ في سفح جبل من صخر مخشوشن ، يسكنه ثلاثون راهباً حلبيًا ، مرَّ بك كلامٌ عنهم ، بينهم اثنا عشر كاهناً يقيم فيه مؤسسهم الاسقف عبدالله ، الرئيس الاول عليهم قبل تسقيفه ، والذي قبلنا ببشاشة عظمى . إنَّ هذا الحبر يحيا في هذا الدير حياة قداسةٍ حقَّة كأبسط الرهبان ، وعيشته اضيق من عيشتهم الشظفة ، ولا يتميز عنهم الّا بثوبه البنفسجي[2] .

---

١) هو دير مار انطونيوس قزحيًا . المزار السرياني الشهير ، حيث يجري الله بشفاعة هذا القدّيس آياتٍ معجزات . وللمطران فرحات قصيدة رائعة في وصف هذا الدير وما يُقام فيه من صلوات ويجري فيه من جرائح . ديوانه طبعة سنة ١٨٩٦ ص ١٦٤ ، راجع تاريخ دير قزحيًا للاب نعمة الله الكفريّ في المشرق (٤[١٩٠١] : ٢٦١ و٨٧٣) وما كتبناه نحن ايضًا . المشرق (٢٤[١٩٢٦] : ٧٥١-١٥٥) وما ورد عنه في تاريخ الرهبانية مج ١ ، ص ٥٩ .

٢) من طالع ترجمة هذا الحبر التي أشرنا اليها تولاه العجب من الاماتات والتقشفات الصارمة التي كان يمارسها بحيث لم تتغير رتبة الاسقفية شيئًا من سياق حياته الرهبانية الماضية ، بل زادته زهدًا وتقشفًا وحميةً لاخوته الرهبان وغيرة على رهبانية ما انفكَّ يتعهدها بنايته

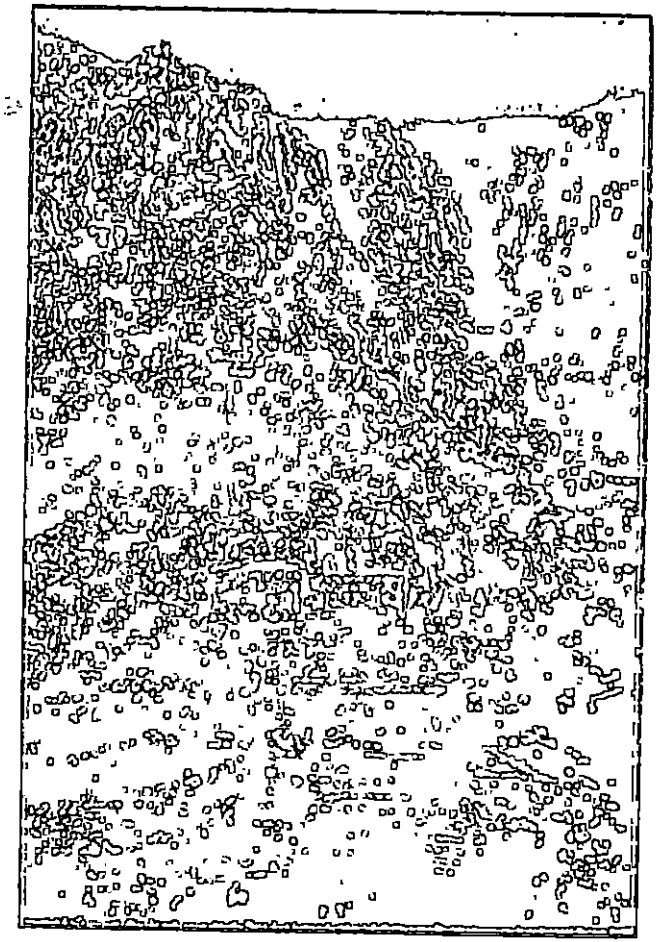

دير قنّوبين

دير مار اليشاع – في سفح الوادي المقدّس

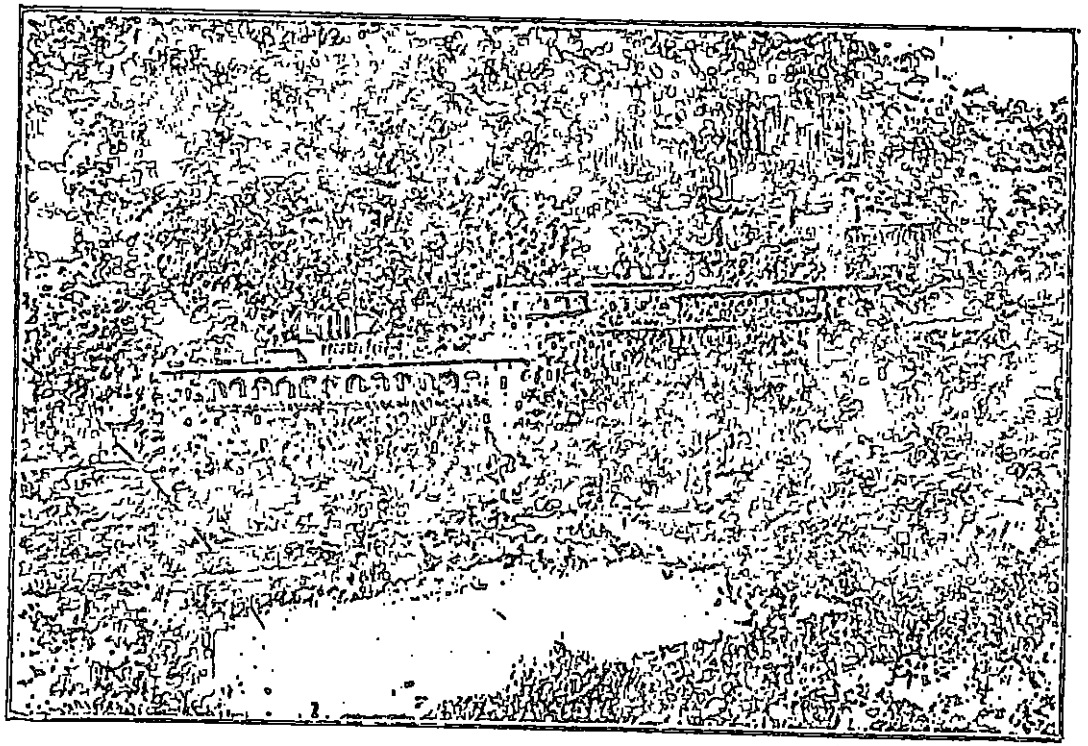

دير مار انطونيوس قزحيا

أمسكنا هناك يومين كاملين ، وأرانا الدير وما جاوره ،وهو ، اي الدير ، قسمان كلٌّ على حدة ، ولكل قسم كنيسة . غير أنّ صلاة القرّاءة تُقام في الكنيسة الكبرى ، وزينة الكنيستين نظافتهما البليغة . وأرانا ايضاً مغاور اخرى كلها معابد بينها معبدٌ كبير جميل على اسم القدّيس ميخائيل فيه ثلاثة مذابح ، وغرفتان صغيرتان يسكنهما رهبانٌ يتمّون رياضاتهم الروحية[1] . وفي آخر الجبل الموازي مغارتان أخريان فيهما اثنان من رهبان الدير نفسه يسيران سيرة التوحد الكاملة ، فلا يخرجان منهما ابدًا ولا يتحدّثان الى احد الّا الى الرئيس ليكشفا له افكارهما كل يوم ؛ وكلاهما كامنان بقيان الذبيحة الالهية في معبدٍ صغير محفور في الصخر .

يمتنع على انسانٍ ان يرى قدوة تقوى اعظم من التي رأيتُ في رهبان هذا الدير . .

قضينا معهم يومين ، ثم استأذنت المطران عبدالله بالسفر ، فاصحبني بهادٍ يرشد خطانا الى عرجس بطرق كلها مهاوٍ يمتنع على مثلنا قطعها بغير هادٍ .

المسافة من عرجس الى طرابلس اربع ساعات . وهذه المسافة سهلٌ واحدٌ منبسط بديع المنظر مغروس بالزيتون وبسواه من الاشجار المختلفة . وصلتُ الى طرابلس مرتاحاً ، ومنها سافرتُ حيث تابعتُ بنعمة الله مهامَّ الرسالة بالرغم من الامراض السارية التي كانت السبب في زيادة أعمالنا ، ولم يوقف خطرها الكبير غيرة مرسلينا ، وعارٌ على من لا يقتدي بهم .

ومن حيث إنّا بحاجةٍ كبرى الى نعم الله المتواصلة ، نطلب منك ومن جميع ابائنا ان تلتمسوا لنا هذه النعم من الله في قداديسكم الالهية . هذا وانا بتملقي بكم واحترامي لحضرتكم أوضع واطوع بنيكم .

پتيكوه (Petitqueux)

ومثله الصالح الى آخر حياته ، بصرف معظم ايام اسقفيته في ادیار ازدانت بفضائله وفاحت منها روائح نسكه ، عائشاً بين اخوته كواحد منهم غير متميز عنهم الا بثوبه كما رأيت ، آخذاً النفس بالامانة البليغة والجهاد النسكي صوناً للكمال .

١) راجع ما كتبناه عن هذا المسلك وغيره في مجلة المشرق (٢٤[١٩٢٦] : ٧٥٢)

« كثرة الغَلَبة »*

حكاية

– عجيب امر هؤلاء الجيران ! يا خليل .. فاننا لا نسمع الا صراخهم .

– ما لنا ولهم ، يا ليلى . الا تعلمين ان لكل انسان حالات يهيج فيها غضبه ، فيُدفع الى رفع صوته ؟

– اجل ان الغضب عاطفة تستولي على الجميع ، ولا تلبث ان يعقبها الهدوء . ولكن غضب هؤلاء الجيران مخالف غضب البشر ، فتراهم في هيجان دائم . اسمع ! اسمع ! لقد ارتفع الصوت . هناك خلاف بين الجار وامرأته يلزم ان اعرفه . تعالَ ! ادنُ من النافذة ، وتسمع .

فتقدّم خليل قليلًا ، وقال متضجرًا :

– لله منكنّ ، ايتها النساء ! ما « اكثر غلبتكن ! »

ثم اخذ وامرأته يتقطان اقوال الجيران . غير ان علوّ النافذة ، وسماكة الجدار ، والضجّة المتواصلة كانت تحول بينهما وبين فهم اكثر الالفاظ ؛ فلم يكونا يسمعان الا المقاطع الرنانة والصراخ المتتابع . فأسفا لاحتدام الشجار بين جارهما وامرأته .

اخيرًا ضجر خليل فرجع الى مكانه ، قائلًا :

– ستكون العاقبة وخيمة !

فقالت ليلى :

– اسمع ! اسمع ! لقد بدأ الرجل باللعنات ، والمرأة بالتأوهات . مسكينة هذه الزوجة ، ففي كل يوم تلقى منه الاهوال .

– على رسلك ! انت تدافعين عن المرأة ! ومن يضمن لك ان لا ذنب لها ؟

– لنفرض انها مذنبة ، او لا يحمل بزوجها ان يتبصر في ما يقول ! أوَ

---

* تُطلق العامة هذا التعبير على الفضول وحبّ الاطلاع غير المشروع ، والميل الى التدخل في شؤون الغير .

لا يجدر به ان يعتبر امرأته ، بل ان يعتبر نفسه ، فيتأنى في غضبه . انه حيوان شرس لا يفهم اللطف والذوق معنى . يقضي ليله في الحانات ، ثم يجيئها الصبح فينغص عليها عيشتها . لقد مضى ثمانية ايام على وجودهما قربنا ، وفي كل صباح يسمعنا حضرته ما يكون قد حفظه بالامس من الالفاظ واللفظات التي يترفع عن التلفظ بها الحمّارون انفسهم .

— ما لنا ولهم يا ليلى . قلت لكِ اني لا احب التدخل في امور الغير .

— طالما رددت على مسمعي هذه النغمة : « لا احبّ التدخل في امور الغير » ! فاصنع ما يوافقك . اما انا فقد عزمت على ان اشكو هذا الوقح الى البوليس ، اذا ضرب امرأته كالبارح ؛ لاني لا اطيق ان ارى هذه المسكينة تتعذب كل صباح .

فقهقه خليل وقال :

— يا لكِ من محامية بارعة ! أوَ تظنين اني سادافع عن الزوج فيحتدم الجدال بيننا . اصنعي ما يروقك ، واشكيه لا للبوليس فحسب ، بل لمحافظ المدينة ، اذا شئتِ .

وما كاد خليل ينهي كلامه حتى ارتفع الضجيج ، وعلا الصياح ، وسُمع صوت المرأة صاخبةً مهدّدة :

— « يا قاتل ! يا قاتل ! اصبر قليلًا ، سأُرجعنّك الى السجن المؤبد ! لقد كفاني ما . . .

فاصفرّ وجه خليل ، وجذبته ليلى مضطربةً هامسة :

— تعالَ نذهب امام بابها ، فاننا لا نكاد نسمع شيئاً من هنا .

فخرجا ، واذا بصاحبة المنزل واضعةً اذنها على باب الجار ، وقد جحظت عيناها ، وتقلّصت شفتاها ، وفُتح فوها اندهالًا . فتبادلت وليلى بضع كلمات ؛ ثم سكتت الثلاثة وقد فعل فيهم التأثر مفعوله . ولم يلبثوا ان سمعوا امرأة الجار تصرخ من الداخل :

— « هدّدني ، يا قاتل ، هدّدني ! فوالله العظيم لارجعنّك الى سجنك ! »

فصاح زوجها وقد خنقه الغضب :

— « يا ابنة ... أتريدين خفض صوتك ! ... »

— « لا ! لا ! الن ، واشتم ، وقل ما شئت . فاني اريد ان يسمعني الجميع ... ارفع يدك ، يا لئيم ! فانا اهزأ بك وبغضبك . ولا يهمني الموت الآن ، بعد ان قتلت صغيرنا المسكين . نعم ، نعم ، لقد قتلته ، انت نفسك ، يا قاتل ، انت ، انت المجرم ! لم تشفق عليه ، يا ظالم ! »

— « كذابة ! ... »

— « انك تعلم حق العلم باني لا اكذب . »

فضحك الزوج ضحكة مستطيلة رمت الرعب في القلوب ، وقال ساخرًا :

— « احتطت للامر من جميع وجوهه ، فافعلي ما بدا لك ، فلن تنالي شيئاً . »

فصاحت المرأة :

— « سترى عن قريب اني قادرة على اظهار الحقيقة . أو تظن ان سمك لم يترك أثرًا ؟ ... »

— « ألا تسكتين عن هذا الموضوع ؟ . »

ثم تتابعت اللعنات والشتائم ، وسُمع صوت المرأة متقطعاً ، مردّدًا :

— « كنت اظنك اكثر شفقةً ايها الوحش الضاري ! »

فقوطع بضجيج شديد ، ثم سُمع :

— « يا قاتل ! يا شقي ! يا شقي ! يا قاتل ! »

فعلا صوت الزوج مهدّدًا :

— « اني امنعك التلفظ بهذه الكلمة . »

— « ستسمعها من فمي حتى اعيدك لمقرّك بين امثالك المجرمين ! »

— « اصمتي ، اصمتي ، ان كان لك مطمع في الحياة . »

— « يا قاتل ! »

— « والله ان تقوليها بعد اليوم ! »

وارتفع الصراخ ، وسمع صوت تساقط الكراسي والآنية . وكانت المرأة تئنّ من قلب جريح ، ثم جمعت قواها وصاحت بصوت ابحّ :

— « آه ! يا قاتل ! يا قا... »

فقطعت صياحها ضربة قاضية . ثم ساد السكوت الرهيب .

اما خليل وليلى وصاحبة المنزل فكانوا ذاهلين ، جامدين في مكانهم ، وقد علت وجوههم صفرة الرعب ، وعقد الخوف ألسنتهم . الى ان تحركت صاحبة البيت ، ولبت داعي الشفقة على الجارة المسكينة ، فقالت لخليل :

— «لا اخالك تترك هذه المسكينة تذهب ضحية هذا الوحش ، يا خواجه خليل ! » وكان خليل ، مع بغضه التدخل في شؤون الغير ، يفكر بطريقة يخلص فيها تلك المرأة المسكينة . فما سمع كلام صاحبة البيت حتى صدم الباب بكتفه ، فاقتلعه ، ودخل غرفة الجار بسرعة البرق . . .

ولشدّ ما كان اندهاله عظيماً ، اذ رأى رجلاً يحلق امام المرآة ، وقربه امرأة بين يديها كتاب تقلب اوراقه . فوقف كالمصرق امام هذا المشهد . اما الرجل فالتفت اليه مستغرباً ، وقال حازماً هادئاً :

— ماذا تريد يا هذا ؟ وبايّ حقّ تخلع الباب ، وتدخل علينا ؟

فازداد خليل اضطراباً ، وتمتم :

— عفوًا ! يا سيدي ، أوَ لم تحدث المشاجرة هنا ؟

— واي مشاجرة تعني ؟ اني لا افهم ما تريد . فتفضّل بالخروج في الحال .

وكانت المرأة لا تزال تقلب صفحات الكتاب ، فعندما سمعت « بالمشاجرة» قهقهت طويلًا وقالت لخليل :

— يا لك من ابله ! أوَ حسبت ذلك مشاجرة ؟ كنا نراجع الفصل الثالث من رواية « القاتل » التي سنمثلها هذا المساء . فتفضّل واخرج ولا تضايقنا باسئلتك الباردة .

فخرج خليل خجلًا ، وهو يذمّ امرأته ورفيقتها ، ويلعن « كثرة الغلبة » .

***

ولم يتوارَ حتى قالت الممثلة لزوجها :

— يلزم ان نروي هذا الحادث لمدير المسرح ، فيقلع عن توبيخنا ، ويتأكد ان تمثيلنا طبيعي !

فؤاد افرام البستاني

دير القمر على عهد الامير – النور والتدرّن – الكثلكة في انكلترة

دير القمر على عهد الامير

ينشر الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف في مجلة « المنارة » التي تصدر في جونيه ، شيئاً من اخبار الامير بشير الكبير لم تنشر قبلاً . من ذلك ما ورد عن وصف دير القمر ، كبرى مدن الجبل اذ ذاك ، وهي قطعة مأخوذة من مخطوطة لرستم باز ابن الشيخ جرجس باز الشهير . رأينا ان نأخذها بنصّها . (المنارة ١٩٣١ : ٦-١٠٦) :

« انتَ عرفتها بعد ما تشوه اسمها وخربت واما انا ولدت وتربيت فيها . جنة كانت مدينة لبنان في ولاية الامير بشير التي كانت مدتها ٥٥ سنة[1] وهو الذي اعتنى في عمارها ونجاحها . وكثر سكانها فاتتها السكان من كل جهة للامن والراحة التي كانت سائدة فيها[2] . حتى صار فيها من النوال عدد ٣٠٠ تشتغل قماش وستة نوال منطرّ واربعين نول عبي . وصيّاغ وعقادين اكثر من ستين معلم ومحلاتهم معروفة . ومن الخياطين والحدادين والنجارين والحلاقين وقرادحة وسكافية من كل نوع وبرابيج وكل اسواقهم معروفة ودكاكين سمانة وخضرجية .

واما قيسارية[3] الكبيرة للتجار . وبها ميزان الحرير . ومن الصنايع

---

١) ان حكم الامير كان ٥٣ سنة فكأنه ذكره تقريباً هنا .

٢) استقدم الامير إليه امهر الصناع والبنائين والمهندسين وجاءت أسر كثيرة الى الدير من حلب والاستانة ودمشق وجهات لبنان وسورية قبل عهده وبعده .

٣) القيسارية تحريف القيصرية وهي ابنية الحكام والامراء للصناعات .

النتّالين والصباغين والدباغين والصابون . اكثر حرير لبنان يورّد قيسارية التجار ويسلم للسماسرة وهذه اسماؤهم طنوس مرهج جد سليم لطوف يو شاكر . جبره الحلبي . واهم تات [1] ابو جهنم . شامين وهبه وخلافهم . فتشتريه التجار وترسله للشام وحلب وحمص وحماة ويصرف منه جانب بالدير للنوال والشراريب وعقايص النسا وكله يزان بيزان الحرير . وكان اكثر من خمسماية حرمة تعاش من كسب الحرير .

وقيسارية محشوكة في البضائع من كل جنس تجلبها التجار من كل جهة . وبيروت قلة ما كانت معروفة عندهم . كانت صيدا وحلب والشام . وما كان يوجد دكان بيع وشرا بكامل تلك الجهات كل احتياجاتهم من الدير . وكان الامير يفتخر فيها : التجار للمال عند اللزوم والرجال للحرب . فنذكر الآن المال الذي يدخل خزنة الامير . منها الدكاكين والخرج كلهم ملكه والقيسارية والسرايات مأجورين للسكن كل هؤلاء لا اعرف بالتحقيق قدر ايرادهم .

واما المناتق [2] فهم هكذا : المصبنة ضامنها موسى شوعا بالف عد ٢٢٥ وحاجز الصابون عن لبنان . لواح لا يقدر يدخل لان نقده ما كان عنده بل حبس وضرب عصي وضبط ارزاق . ملحمة الضان ضامنها عبود الشدياق وشركاه بالف عد ١٣٠ يسدده بها لحم كل يوم راس عد ١٢ واحيان اكثر . ملحمة البقر ضامنها بو مارون الفرخ بالف عد ٣٠ . الكيالة مع القبان ضامنها غسطين بو عكر وشركاه بالف عد ١٢٥ . المصبغة ضامنها باروخ بالف عد ٢٥ . الدباغة ضامنها اولاد عزير بالف عد ١٥ . ميزان الحرير ضمنه مدة ابن عمنا يوسف باز بالف عد ٣٢ . وكان يأخذ ميرة عن كل نول قماش في السنة ٣٠ . فكانت كل هذه الاموال تصرف بالدير .

وكانت بتدين تأتيها الاكابر والاصاغر من كل البلاد وتشتري من الدير لوازمها . ثم معصرة الحلاوة ضامنها اولاد المعصراني بالف عدد ١٢ . وكل هذه الاشيا محزوزة (محجوزة) .

---

١) هكذا في الاصل مشوشة ولعلها (ابراهيم ثابت) . [المشرق: والارجح انها دهام ثابت]
٢) تستعمل عامتنا المناق بمعنى المعمل والمصنع كالدباغة والمصبنة .

فالآن ففي كل ذلك الخ فصارت كل ضيعة وقرية ومزرعة عندها ما يكفيها وفي غنى عن الدير. فاصبحت اهلها الباقين فيها والراضين بحالتها مفرودين يبيعوا بعضهم الى ما شاء الله وربما تنحط اكثر.

هذا مدخول الامير من الدير عدا عن باقي المحلات، ايراد البكاليك بكامله ايراد ارزاق الشيخ بشير جنبلاط بعد قتله وهدم حارته بقي هذا الايراد لحين قيامه من الجبل. وخلافه كثير. كل من غضب عليه يضبط ارزاقه، ضمان المسابك لاستخراج الحديد. حجز نعال الخيل والبغال وخلافهم عملهم في دوما لقربها من المسابك.

وايرادات كثير وعداد الغنم والاماعز والسمن من العرب. والاكراد تجار الاغنام بالشام كل سنة تقدم مائة الف غرش لصيانة ارزاقها وتحصيل اموالها.»

النور والتدرن

نشر الدكتور نخو، استاذ الامراض الصدرية بالجامعة الاميركية، مقالاً مفيدًا في مجلة الكلية (اذار ١٩٣١: ٢١٧-٢٢٢) عن المعالجة باشعة الشمس والنور، رأينا ان نقتطف منه ما خص معالجة التدرّن:

«لا يجوز لي ان اترك هذا البحث دون اشارة مختصرة الى عظم اهمية معالجة الامراض التدرنية بواسطة النور. ان النور واشعة الشمس من الد اعداء الامراض التدرنية بانواعها واعظم قاتل للمكروب المسبب لها. وهي قلما تنتشر بين من يعرضون اجسامهم ومساكنهم لاشعتها المطهرة ولكنها تكثر في احياء المدن المزدحمة التي لا يتخللها النور.

اما معالجة التدرن البطني والعظمي والمفصلي والغددي بواسطة الشمس فقد عمت العالم باسره وقلما يختلف في فائدتها اثنان. وبعد ان كنا نستعمل الجبائر في معالجة التدرن المفصلي قد عدلنا عنه لانه يحجب نور الشمس واشعتها عن العضو المريض وصرنا نعوّل منعاً للحركة عن العضو المصاب على طرق لا يحرم معها من التعرض الدائم للنور الطبيعي او لاشعة كيمية صناعية. وينبغي هنا التحذير من ان الاشعة البنفسجية التي يستعملها الحلاقون وغيرهم موهمين البسطاء انها هي

الاشعة الفوق البنفسجية بعينها لان ذلك ضلال وليس للاشعة البنفسجية شيء مقابل بالاشعة الفوق البنفسجية قطعياً.

اما في معالجة التدرن الرئوي بواسطة الشمس والنور فيوجد بعض الانقسام في رأي الاطباء وبينما تكون النتائج التي يحصل عليها البعض غير مرضية تكون النتائج التي يحصل عليها البعض الآخر حسنة جداً والسبب في ذلك لا يتوقف على النور وعلى مصدره بمقدار ما يتوقف على طريقة استخدامه فتعريض الصدر او الظهر رأساً لاشعة الشمس الحارة او تعريضه وقتاً طويلاً في حالة تدرن حادّ او فعال مثلاً هو شديد الخطر لانه كثيراً ما ينتج عن ذلك تهيج في الجزء المصاب من الرئة لربما حصل عنه استفحال الداء او سبب نزفاً دموياً. ولكن اذا عُرّض المريض في حالة مرض مزمن وفي وقت تكون فيه حالته العمومية حسنة او اذا عُرض للاشعة الفوق البنفسجية الصناعية الخالية من الاشعة الحارّة واذا ابتدئ بتعريض رجلي المريض مدة قصيرة بينما يكون باقي الجسم في الظل على طريقة الاستاذ روليه، واذا زيد التعريض تدريجاً بموجب الطريقة المذكورة مع عدم تعريض الصدر او الظهر الى ان يكون المرض قد توقف تماماً والمريض قد تقوّى وصار جلده نشيطاً وملوّحاً باشعة الشمس طبيعية كانت او صناعية فتزيد الفائدة ولا يبقى خطر على المريض من الشمس قطعياً. اما استخدام الاشعة الفوق البنفسجية في السل الرئوي فهو خالٍ من كل خطر وسهل المنال وجزيل الفائدة لعدم وجود الاشعة الحارة فيها اذا استعملت حسب الاصول.

الكثلكة في انكلترة

لا تزال الكثلكة في انكلترة على تقدّم متواصل، تجلّى مؤخراً في ازدياد عدد الكهنة، والكنائس، والمدارس الثنوية والابتدائية، والرهبنات. وقد اطلعنا في مجلة «وحدة الكنيسة» (*L'Unité de l'Eglise, Janv.-Fev. 1931 p. 406*) على معلومات واحصائيات استقتها من النشرة الانكليزية الكاثوليكية «*Catholic Directory*» تدل احسن دلالة على اهمية الحركة الكاثوليكية في انكلترة وبلاد الغال، فرأينا تلخيص شيء منها:

ارتدّ الى الكثلكة، مدة سنة ١٩٢٩، ١٢٠٧٥ شخصاً، وزاد عدد الكاثوليك ٣١٥٧١. وقد بلغ عدد المرتدين في مدة عشر سنوات (١٩٢٠—١٩٢٩) ١٢١٩٧٣، وبلغت الزيادة في عدد الكاثوليك ٢٩٠٧٦٩

ولكن التقدم المهم كان في الاكليروس ، فزاد عدد كهنة الرعايا ١١٢ ، سنة ١٩٢٩ ، فبلغ اجمالاً ٢٨٩٧ . وأنشئ ١٥ كنيسة جديدة فبلغ عدد الكنائس العمومية ١٥٧٦ ، وكذلك زادت الكنائس الخاصة ٨ فبلغ عددها ٦٤٩ . وأسس الكاثوليك ، في السنة نفسها ، ١٠ مدارس ثانوية ، و ٢٠ مدرسة ابتدائية ، فبلغت الاولى ٥١١ ، والثانية ١٣٥١ . ووافق هذه الزيادة زيادة في عدد الطلاب فبلغ تلامذة المدارس الثانوية ٥٨٨٢٢ بزيادة ٤٩٢٥ على السنة السابقة ، وبلغ تلامذة المدارس الابتدائية ٣٧٩٤٨٤ بزيادة ٥٣١٥ تلميذاً على السنة السابقة . وزاد ايضاً عدد الزيجات الكاثوليكية زيادة محسوسة فبلغ ٢٣٠٤٥ بزيادة ٩٥٦ زيجة . الا ان عدد المواليد نقص ، فلم يمتد من الاطفال سنة ١٩٢٩ الا ٦٣٢٨٠ بنقص ٣٠٦٧ عن السنة السابقة . وننشر في ما يلي جدولين يدل الاول على عدد الارتدادات الى الكثلكة سنةً فسنة ، في مدة العشر السنوات الاخيرة ، والثاني على التقدم المطرد في عدد الكاثوليك:

١٩٢٠	١٢٦٢١	١٩٢٥	١١٩٤٨
١٩٢١	١١٦٢١	١٩٢٦	١١٧١٤
١٩٢٢	١٢٠٤٠٦	١٩٢٧	١٢٠٦٥
١٩٢٣	١٢٧١٦	١٩٢٨	١٢٢٧٢
١٩٢٤	١٢٢٥٥	١٩٢٩	١٢٠٧٥

وهذا عدد الكاثوليك:

١٩٢٢	١٩٢١٩٩١	١٩٢٦	٢٠٤٢٦٣٠
١٩٢٣	١٩٦٥٧٨٧	١٩٢٧	٢٠٥٥٨٦٠
١٩٢٤	١٩٩٧٢٨٠	١٩٢٨	٢١٤٢٠٥
١٩٢٥	٢٠٣٠٨٥٥	١٩٢٩	٢١٥٦١٤٦

اما عدد الكاثوليك اليوم في انكلترة وبلاد النال فيبلغ ٢٢٠٦٢٤٤ .

واننا لنتحقق عظم اهمية هذه الاحصائيات اذا قابلناها باحصائيات الكنيسة الانكليكانية التي تذيعها نشرتها الرسمية «*Official year Book of the Church of England*» فنرى عدد الانكليكان نقص ٣٠٠٠٠ سنة ١٩٢٩ ، وان الكنيسة الرسمية للحكومة لا يزيد عدد رعاياها على مليونين ونصف مليون في بلاد يبلغ عدد سكانها اربعين مليوناً .

ف. ا. ب.

شذرات

محصولات مناطق الانتداب سنة ١٩٢٩

اعتدنا ان ننشر كل سنة ، عن « نشرة بنك سورية ولبنان الكبير » ، بعض الفوائد عن محصولات بلادنا الزراعية والصناعية ؛ وقد ظهر مؤخرًا العدد السادس (١٩٣٠) من تلك النشرة فرأينا ان نأخذ عنه ما يلي:

الزراعة

الحالة الزراعية العامة

كانت النتائج الزراعية من افضل ما يؤمّل . فان هطول الامطار وموافقة المناخ لاكثر انواع المزروعات ، ساعدا على محصولات كانت في بعض المحلّات تفوق محصولات السنة السابقة بثلاث او اربع مرّات . وتزداد قيمة هذه النتائج اذا انتُبه الى انه بسبب المحل في محصولات السنة السابقة ، اهمل المزارعون زراعة قسم صالح من ارضهم بسبب فقرهم وخيبة آمالهم ، فضيّقوا مساحة الاراضي المحروثة كما سنرى.

ولكن لسوء الحظ لم يكن لزيادة المحصولات الزراعية النتائج الحسنة التي كانت تؤمّل لتحسين حالة المزارعين وترقية اقتصاديات البلاد الاجمالية . وذلك بسبب زيادة المحصول على المطلوب في العالم كلّه ، وما جرّته من كساد المحصولات الزراعية . على انه يجب الاشارة الى بعض ما شذّ عن هذا الكساد مما يدخل في الزراعة كتربية المواشي ولاسيما الغنم ، وزراعة الليمون ، والبذورة الصفراء والبيضاء ، وقد بيعت كلّها باسعار موافقة بل حسنة.

الحبوب

تقدّر الاراضي التي خصّتها الحكومات بنوعي الزراعة المهمين اي القمح والشعير بما يلي :

	قمح		شعير	
	١٩٢٨	١٩٢٩	١٩٢٨	١٩٢٩
	هكتار	هكتار	هكتار	هكتار
لبنان	٥٤ ٠٠٠	٥٢ ٠٠٠	٢٨ ٠٠٠	٢٤ ٠٠٠
العلويون	٤٠ ٠٠٠	٣٣ ٠٤٠	٢٠ ٠٠٠	١٧ ٠٠٠
سورية	٣٢٠ ٣٩٠	٢٧٠ ٠٠٠	٣١٢ ٠٠٠	٢٥٨ ٢٠٠
	٤١٤ ٣٩٠	٣٥٥ ٠٤٠	٣٦٠ ٠٠٠	٢٩٩ ٢٠٠

فيكون مجمل المساحة المزروعة قمحاً وشعيراً ٦٥٤ ٢٤٠ هكتاراً يقابلها في سنة ١٩٢٨ مساحة ٧٧٤ ٣٩٠ هكتاراً . وسبب هذا النقص قلة الموارد في المال والحبوب ، التي تأثر بها المزارعون بسبب المحل في الموسم السابق.

اما المحصولات في السنتين ١٩٢٨ و ١٩٢٩ قمحاً وشعيراً فنقابل بينها في الجدول التالي :

	قمح		شعير	
	١٩٢٨	١٩٢٩	١٩٢٨	١٩٢٩
	طن	طن	طن	طن
لبنان	١٨ ٠٠٠	٤١ ٦٠٠	١٤ ٠٠٠	٢١ ٦٠٠
العلويون	٢٠ ٠٠٠	٥٠ ٠٠٠	١٠ ٠٠٠	٢٦ ٠٠٠
سورية	١٣٦ ٠٠٠	٣٤٦ ٤٥٠	٢٧٤ ٠٠٠	٤٧٩ ١٠٠
	١٧٤ ٠٠٠	٤٣٨ ٠٥٠	٢٩٨ ٠٠٠	٥٢٦ ٧٠٠

فيجدر بنا ان نلاحظ الزيادة المهمة التي اتت بها السنة ١٩٢٩ الماطرة على السنة ١٩٢٨ الجافة. فنقول انه في ما خص القمح زاد المحصول بضعفين ونصف ضعف على محصول السنة الفائتة وقد زاد ايضاً على محصول السنة ١٩٢٧ وهي سنة عادية ، كل هذا رغم ان مساحة الارض المزروعة قمحاً نقصت سنة ١٩٢٩ عما كانت عليه سنة ١٩٢٨ بمعدل ١٤٪

وكذلك تتحقق الزيادة نفسها في محصولات الشعير على رغم نقص المساحة المزروعة المعادل ١٧٪

اما زراعة الحبوب الصيفية كالذرة الصفراء والبيضاء فقد اتت هي ايضاً

بمحصول حسن بلغ ١٣٤٨٨٠ طناً في مساحة ٩٥٢٠٠ هكتار يقابلها في سنة ١٩٢٨ ، محصول ٦٢٠١٠ اطنان في مساحة ٥٣٠٠٠ هكتار . فتكون النتيجة انه بزيادة نحو ٤٠٪ من الارض المزروعة زاد المحصول اكثر من ١٠٠٪

اما الزراعة الجديدة التي نشأت في بعض الجهات من بلاد العلويين وسورية ، وهي زراعة الارز ، فقد اتت بنتائج جديرة بالذكر ترضي المزارعين . الا ان هناك مشكلاً لم يحلّ بعد في ما خصّ عمليات نزع القشر وتحضير الارز ، وذلك لانه ليس في البلاد الآلات اللازمة لهذا العمل .

القطن

كان من نتائج الامطار الغزيرة التي هطلت بتناسب في فصل الشتاء فخزنت في الثرى كمية موافقة من الرطوبة ، ومن نتائج محصولات القمح والشعير الحسنة التي صرفت المزارعين عن الاتجاه الى المزروعات الصيفية الثنوية ، ان هؤلاء مالوا الى زراعة القطن فكانت مساحة الارض المخصّصة لذلك زائدة زيادة محسوسة عمّا كانت عليه في السنة الفائتة . وقد كانت النتائج بالاجمال عند الآمال التي عزّزتها الظروف الموافقة .

فكانت النتيجة في سورية ، التي خصّت بزراعة القطن مساحة تزيد اربعة اضعاف عنها في سنة ١٩٢٨ فتبلغ ١٧٣٤٩ هكتارًا ، ولم تكن سابقاً الا ٤٣٨٥ هكتارًا ، ان محصول المروق او الالياف القطنية بلغ ٢٤٦٦٠ كنتالًا (الكنتال مائة كيلو) يقابلها ٥٧٠٠ كنتال في سنة ١٩٢٨ . وان من الجدير بالذكر التوسّع المحسوس الذي تتخذه زراعة القطن في الاراضي البعلية ، وخصوصاً القطن الاميركي من النوع المعروف « بلون ستار » وهو امر جزيل الاهمية في مستقبل هذه الزراعة .

وقد زادت مساحة الاراضي المزروعة قطناً في بلاد العلويين من ٣٠٠٠ هكتار الى ٧٠٠٠ هكتار انتجت ٧١٠ اطنان يقابلها ٣٦٠ طناً سنة ١٩٢٨ . وقد زادت هذه المساحة المزروعة في سنة ١٩٣٠ ايضاً فبلغت ١٣٠٠٠ هكتار مما يدفع الى الامل بافضل النتائج وبالتقدم المتواصل .

وقد اتحد في سبيل هذا التقدّم السلطات العامّة ، والادارات ، والمصارف ،

والشركات الخاصة ، والملاكون ، فلم يألوا جهداً في توسيع مساحة الزراعة وتحسين طرقها واساليبها . وكان من حسن الاتحاد والمعاونة بين الادارات الفنية في الحكومات والشركة القطنية الفرنسوية للمستعمرات ، التي لا يزال عملها يأتي بالفوائد الجمّة في جميع مناطق الانتداب ، انه بعد ثمانية عشر شهراً من العمل ، أُنشئ « معهد قطني » في بلاد العلويين في السنة ١٩٢٩ ، ومعهد آخر في سورية سنة ١٩٣٠ ؛ وأُنشئ معمل للحلج والكبس في الحميدية (بلاد العلويين) ومعملان آخران للحلج والكبس ايضاً في حمص وحماة ؛ واستُحضر في سنة ١٩٢٩ ، ١٥ طناً من بزور النوع المعروف « بلون ستار » ، و ٥٣ طناً في سنة ١٩٣٠ . وتزيد ان القطن الحاصل سنة ١٩٢٩ من البزور التي ادخلتها الشركة المذكورة لاقى في الهاثر الملامات المجيدة .

التبغ

قُدّرت محصولات التبغ سنة ١٩٢٩ ، في لبنان ، بـ ١٠٠٠٠٠٠ كيلوغرام يقابلها ٧٠٠٠٠٠٠ كيلوغرام سنة ١٩٢٨ . وفي بلاد العلويين بـ ١٥٠٠٠٠٠ كيلوغرام يقابلها ٦٠٠٠٠٠٠ كيلوغرام سنة ١٩٢٨ .

وقد اتخذت السلطات العامة احكاماً من شأنها تحديد زراعة التبغ وحصرها في المناطق التي تغلّ التبغ الحسن الجنس فقط ، فتمكن المزارعون من بيع محصولهم بسهولة وبسعر موافق .

الصوف

بلغت محصولات الصوف نحو ٩١٠٠ طن فزادت نحو ٢٥ ٪ عما كانت عليه السنة السابقة . وكان من حسن تأثير المراعي الخصبة هذه السنة ان مائة الجزّة التي كانت لا يتجاوز وزنها ٢٠٥ الى ٢١٠ كيلوغرامات في سنة ١٩٢٨ ، بلغ وزنها هذه السنة ٢٥٠ الى ٢٨٠ كيلوغراماً .

مطبوعات شرقية جديدة

Chapoutier (F.) : Mallia. Peritures minoennes. [*Ecole français: d'Athènes. Etudes crétoises. II*] *Geuthner*, 1930, *VII-99 pp. 4°, VII pl. et 36 fig.*

مالية والرُقم المينوية

يعلم قرّاؤنا — او لا يعلمون — انه اكتشف في جزيرة اقريطش رُقمٌ عديدة بلغة مجهولة . وان هذه الرُقم ، الراقي اقدمها الى الفي سنة ق. م. ، بدأت تصويرية على طريقة الهيروغليف ، ثم اخذت تتسهّل حتى وصلت الى الطريقة الخطية . وقد كشفت الحفريات الفرنسوية في مالية من مدن اقريطش ، عدداً كبيراً من رقم تلك اللغة مكتوبةً على الطريقتين . فدفع ذلك الاستاذ شاپوتيه ، عضو المعهد الفرنسوي في اثينة سابقاً ، واحد القائمين بحفريات مالية ، الى وضع هذا الكتاب عارضاً فيه الفوائد التي توصّل اليها الدلماء حتى الآن ، ومدقّقاً في جميع الابحاث السالفة . فاتى تأليفاً مهماً يدلّ على مقدرة كاتبه ، وهو اليوم استاذ في جامعة ديجون .

على انني لا ارى رأي الاستاذ شاپوتيه في نقطة واحدة ولكنها مهمة . وهي اذ يجتهد ، في الفصل الرابع ، في ان يبرهن على ان الابجدية الفينيقية تمتّ بصلة الى الخط الاقريطشي . أجل انه يقرّ مع جمهور الاختصاصيين بان الابجدية الفينيقية متفرّعة من الخطّ المصري ، ولكنه يرى ان العلامات الفينيقية اتخذت من الخط الاقريطشي الذي يتعلّق ، هو ايضاً ، بالخط الفرعوني . وهي نظرية لا يمكن ان تُسند الى برهان ، وقد جُلت في هذا الموضوع بتفصيل وافٍ في نشرة كلية القديس يوسف ، سنة ١٩٣٠ ، «*Mélanges de l'U. S. J. 1930*» فليطلب ذلك من شاء ، والسلام .

س. ر.

Giuseppe Furlani : Testi religiosi dei Yezidi, *traduzione, introduzione e note.* [*Testi e documenti per la storia delle religioni, n° 3*] *in-12, pp. X-124. Bologna, N. Zanichelli, editore,* 1930. *Lire* 12.

نصوص عن ديانة اليزيديّة

في هذا الكتاب قسمان : يحتوي الاول على معلومات عن ديانة اليزيدية المدعوّين بلغة العامّة ، « عبّاد الشيطان » ، والثاني على نصوص مختارة من كتبهم الدينية ، وقد ترجمها المؤلف الى لغته وعلّق عليها بعض الشروح . وهو مشهور بابحاثه في المعتقدات الدينية القديمة في ما بين النهرين ، وهناك مركز اليزيدية المهمّ . ولكن على الرغم من مقدرة المؤلف وما بذله من الجهود ، لا تزال تلك المعتقدات محجوبة بستر كثيف من الغموض . اجل انه حدّد علاقات اليزيدية بالصوفي السوري عديّ بن مُسافر الذي غدا قبره مزارهم المهمّ (ص١٩) وغدوا يذكرونه في كتبهم الدينية ذكرهم للاله (ص ١٢٠) ، واوضح رمز الطاووس عند اليزيدية . على اننا لم نفهم ما يمثّله لهم بالحقيقة ذاك الذي يدعونه « المَلاك او الملك طاووس » اهو ملاك ام إله ؟ ثم ان المؤلف يورد كثيراً من النصوص الدينيـة على انها صحيحة النسبة ، وهو امر يشكّ فيه كثير من النقّاد .

ه . ل.

Kampffmeyer (Dr G.) : Die Anfänge einer Geschichte der neueren arabischen Literatur. [*Sonderabdruck aus Mitteil. des Seminars für orientat. Sprachen zu Berlin, Jahrgang XXXI, Abteilung II, Westasiatische Studien* 1928.]

في تاريخ الادب المصري

هي رسالة في ٣٥ صفحة تتضمّن رسماً موافقاً لتأليف تاريخ الادب المصري منذ السنة ١٨٨٠ ، يشمل جميع مظاهر الادب العربي في الاوطان والمهاجر . وهي على قسمين : في الاول تحليل دقيق لمقال واسع في الموضوع نشره باللغة الانكليزية المستشرق جيب ؛ وفي الثاني ترجمة بحث عن ادباء العرب المعاصرين نشره باللغة الروسية المستشرق كراتشقوفسكي مقدّمة لمنتخبات من آثارهم . وكل هذا يدلّ على مقدرة المؤلف وميله الى آدابنا العصرية ميلاً يُشكر عليه .

ه . ل.

L. A. Stella : Italia antica sul mare. *Prefazione di* Pericle Ducati. *Milano, Ulrico Hoepli, editore*, 1930. 1 *vol. in-8° di pp.* XXVII-308, *con* 24 *fig. e* 87 *tavole fuori testo, legato. Prix : Lire* 45

ايطالية القديمة وسيطرتها على البحر

كتاب جميل ترشح منه عاطفة الحب والاعجاب ، ويدلّ على مقدرة وجلد خصّت بهما المؤلفة فارادت ان تبحث عن دور ايطالية في انتشار النفوذ الروماني على البحر المتوسّط بعد الحروب بين رومة وقرطاجة. فجالت في مختلف الاقطار الايطالية راقية الى اقدم العصور من الطور الظرّاني والبروتزي الى عصر الاساطير اليونانية ، الى زمن الاتروسك وانتشار سلطتهم في البحر الادرياتيكي ، الى سيراقوسة ، واخيرًا الى رومة وارثة تقاليد ايطالية البحرية . اما مظهر المجلد فجميل في ورقه وطبعه ورسومه .

ج. ل.

The commentary of Pappus on book X of Euclid's elements. *Arabic text and translation by* W. Thomson, *with introductory remarks, notes and a glossary of technical terms by* G. Junge *and* W. Thomson. [*Harvard semitic series vol. VIII*] 1 *vol. in-8° de* 294 *pp. Cambridge, Harvard University Press.* 1930.

كتاب بپس في الاعظام المتطقة والصمّ التي ذكرها في المقالة العاشرة من كتاب اوقليدس في الاسطقسات

هذا الكتاب من تراث نهضة العرب في عصر العباسيين، لنقل العلوم الاجنبية، نقله ابو عثمان الدمشقي عن بپس ، وموضوعه تفسير المقالة العاشرة من كتاب اوقليدس في الاصول الرياضية. وهو جزيل الفائدة لما يدل عليه من اهتمام العرب بتلك الفنون في ذاك الوقت ، ومن مرونة اللغة العربية وموافقتها لهذه الانواع من التعبير . وقد شاءت جامعة كمبردج تمثيل الكتاب للطبع فاهتم به الاستاذ وليم طمسون فطبعه ، مع ترجمة انكليزية ، وقدّم عليه بحثًا في وصف مخطوطات الكتاب ، ومصادره اليونانية ، وما الى ذلك من ذكر طبعته وترجمته. ووطّأ الاستاذ يونغ الالماني لذلك توطئة مفيدة في موضوع الكتاب وقيمته الرياضية . ثم اشترك الاستاذان فعلّقا على النصّ بعض الشروح والملاحظات

ووضعا معجماً للالفاظ الوضية الواردة فيه. فالى العمل مفيداً من جميع وجوهه، مستحقاً لاجل الثناء.

ف. ا. ب.

Rodenwaldt (Dr G.): Neue Deutsche Ausgrabungen. [*Deutschtum und Ausland, 23/24 Heft*] *mit 3 Beilagen und 27 Abbildungen im Text sowie 37 Tafeln als Anhang. in-8°, 277 pp. Münster in Westfalen, Aschendorffsche Verlagsbuchhandlung. 1930. Prix:12 M.*

حفريات المانية جديدة

هذا الكتاب حلقة من سلسلة خاصة بدرس علاقات المانية بالامم الاجنبية. تظهر فيه اعمال الالمان خارج بلادهم باجلى مظاهرها، من ذلك حفرياتهم التي قاموا بها في بلاد الشرق، وفي بلادهم ايضاً في مناطق جرمانية القديمة. ولم تفتأ هذه الحفريات تتسع شيئاً فشيئاً منذ السنة ١٨٧٤، وفيها أنشئ المعهد الرسمي للماديات في برلين، ودُشنت اعمال التنقيب الالمانية المهمة في اولمبية. على ان المجلد الحاضر لا يذكر الا الحفريات الحديثة التي أوقفت بسبب الحرب العامة ثم أعيدت الاعمال فيها، كما انه يذكر، الى جنب جهود الالمان، حفريات النمسويين في أفسس ومصر، واعمال الاثريين المقبولة في معهد برلين، واعمال الافراد ايضاً؛ من ذلك ارتياد جبل غارزين وحبري الذي قام به الدكتوران شنيدر (Schneider) ومادر (Mader). فمن يقرأ هذا الكتاب الواضح، الجميل الطبع، ويطلع على وصف كل عمل من اعمال التنقيب بقلم القائم به غالباً، يتحقق ان علماء الالمان ومهندسيهم قاموا مؤخراً، بواسطة امداد اقل مما كانت عليه قبل الحرب، باعمال مهمة في بلاد اليونان (تيرنتة، وساموس، وبرغامة) وفي تركية؛ وفي ما بين النهرين، وفي فلسطين، فضلاً عن تنقيبهم في ارض جرمانية نفسها الذي كشف كثيراً من المحطات السابقة للتاريخ او الراقية الى ازمنة البرابرة، والرومانيين، والكرولنجيين.

وقد قام بنشر المجلد الدكتور رودنوالت (Rodenwalt)، رئيس المعهد الاثري الالماني؛ وكتب فيه الدكتور جركان (Gerkan)، السكرتير الثاني للقسم الروماني من المعهد نفسه، وصفاً خيالياً لحفريات غاية في الكمال يمكن

القيام بها في كنيدا . فيتضح من كل ما تقدّم منفعة معهد خاصّ بالمانيـة لا مثيل له في اوربة ، مع تأثير التنظيم البالغ في العمل الذي تتصف به تلـك البلاد .

ر. موتر

A. Jardé : Athènes ancienne, *illustrations de* Y. Béguignon *et* A. Dalloye. [*Collection Le monde hellénique*] *Paris, Société d'édition « Les Belles-Lettres »*, 1930.

أثينة القديمة

مختصر مفيد لخّص فيه احد العلماء الاختصاصيين ما تهمّ معرفته عن مدينة اثينة الشهيرة ، منذ عصورها الاولى الى عصر انحطاط السلطة الرومانية في القرن الثالث بعد المسيح . فجاء كرّاساً جزيل الفائدة يتمنى المطالع ان يرى ما يشابهه لجميع مدن العالم القديم.

ج. ل.

Islamica, *vol. IV, fasc.* 4. *Prix, broché* : 23 *Mk.*

مجلة اسلاميكا : الجزء الرابع من المجلّد الرابع

لقد خصّ هذا الجزء بكامله تقريباً بدرس طويل في « حقوق الملكيـة الخاصة والمشتركة في شرع الملكية العقارية الاسلامي ، ولاسيما في بلاد المغرب ». وهو درس قيّم لما دلّ عليه المؤلف من اطلاع واسع على ما كُتب في الموضوع باللغة العربية واللغات الاوربية . ونحن نلاحظ ان « ربّ المال » (ص ٣٨٨ ، يدلّ ايضاً على صاحب الارض ، لا على صاحب رأس المال فقط . وكذلك كان من الموافق ان يشير المؤلف عنـد ما يتكلّم عن تميم الداري (ص ٤٢٨) الى ان الوثيقة المذكورة منحولة لا صحة لنسبتها .

ه. ل.

Th. Joran : Les manquements à la langue française. Exercices pratiques. 2 *vol. in*-12, *Paris, Bouchesne*, 1930.

تمارين عملية في اصلاح اغلاط الكتّاب باللغة الفرنسوية

كتابان مفيدان لا لفرنسة فحسب بل لجميع البلاد التي تُدرّس فيها اللغة الفرنسوية . لان الاغلاط التي تُلاحظ في الفرنسوية في فرنسة نفسها ما اجدرها ان تُلاحظ ايضاً في الفرنسوية خارج فرنسة . وهمـا حسنا التنسيق على قسط وافر من اللذة ، يتابع فيهما المؤلف اقسام التعبير كلها ويذكر المزالق والاخطار

فيها ، وقد جعل صفحة الخطأ في كتاب التمارين ازاء صفحة الصواب . فلا يتكلف الدارس الا القاء نظرة سريعة فينال الفائدة المرغوبة . وهي صفات لا نشكّ في انها ترغب المطّلعين في الحصول على هذين المجلدين .

A. Mesureur : La propriété foncière au Maroc. *Préface de* M. A. Sarraut. 1 *vol. in*-8° *de* 123 *pp. Prix* : 15 *f*.

حقّ الملكية العقارية في مراكش

يخوض المؤلف ، باسلوب شائق ، في موضوع دقيق هو الصفة الشرعية للعقار في مراكش . فيحلّله بوضوح وايجاز ويعرض لنا بحثاً وافياً في المتلكات العقارية دون ان يهمل ذكر الحبوس ، او الاوقاف ، والشفعة ، والتسجيل ، وتشريعات الحماية الفرنسوية الجديدة . وهو في كل ذلك يمدّد المآخذ ويقابل بين تلك التشريعات وتشريعات بلاد الجزائر . يقرن الى ذلك لمحة تاريخية كافية ، ويردف الكتاب بمعجم للتعابير الحقوقية العربية . مما يجعل كتابه دليلاً اميناً لمن يهتمّ بهذه الابحاث .

L. M. Enfrey : Antioche. *in*-16°, 97 *pp. Paris, Geuthner Prix* : 20 *f*.

انطاكية

كتيّب يصف فيه المؤلف ، بل يزعم انه يصف ، مدينةً من كبريات مدن العالم القديم ، الا وهي انطاكية . الا انه لا يشير الى مظاهر تاريخها كأنها ، بل هو لا يهتمّ الّا بالمآسي من مجازر وحروب ونكبات . اما الناحية الساكنة المثمرة فلا يراها ، كما انه يختصر كل الاختصار في ذكر النصرانية . وما هكذا يُكتب التاريخ ! ج . ل .

F. Corò : Vestigia di colonie agricole romane Gebel Nefusa. [*Collezione di opere e di monografie edite a cura del ministerio delle colonie, n° 9*] *gr. in*-8°, *pp.* 144, *illustré. Roma, Sindacato italiano arti grafiche. Lire* : 17.

آثار مستعمرة رومانية

من ادعى عوامل الغرور لمن اخذ باحتلال بلاد ما ان يرى فيها آثار سلفائه ، وان يرى آثارًا تدلّ على امكان الاقامة في تلك البلاد والعيش فيها

عيشة رخاء وهناء . وهو ما اكتشفه المؤلف في برقة ، اذ وقف على آثار مستعمرات زراعية لقدماء الرومان ، فدرسها ، ورسم خرائطها وعيّن حدودها في تلك الاراضي البائرة اليوم ولكنها قابلة للخصب بدليل ما كانت عليه سابقاً ، وبهمة مستعمريها الحاليين. ج. ل.

C. Zoli : Cronache etiopiche. [*Collezione di opere e di monografie a cura del ministerio delle colonie, n° 10 gr. in-8° pp. 413 con nove carte geografiche fuori testo. Sindacato italiano arti grafiche, Roma. Lire : 30.*

في تاريخ الحبش

يسرد المؤلف في هذا الكتاب جميع الحوادث التي جرت في بلاد الحبش في السنتين الاخيرتين ، اي منذ حركة ايلول ١٩٢٨ حتى تتويج الرأس تفري مكونن نجاشيًا على الحبشة . وهي حوادث غير مشهورة يدرسها المؤلف باهتمام كلّي متتبعاً لمجرياتها على تسع خرائط يردف بها الكتاب . وكلها تهمّ جميع الدول المجاورة للحبشة بما قد تجرّه في بلادها من التأثير . وها ان ايطالية تقوم بمثل يجدر بسائر الدول المذكورة ان تحذو حذوها فيه. ج. ل.

اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس

تأليف مولاي عبد الرحمان ابن زيدان

الجزء الاول ١٣٤٧ = ١٩٢٧ ، والثاني ١٣٤٩ = ١٩٣٠

المطبعة الوطنية لصاحبها عباس التناني بدرب الفاسي عدد ٣ بالرباط

هما مجلدان كبيران يربو مجموع صحائفهما على الالف ، دبجتهما يراعة عالم كبير من علماء المغرب اشتهر في بلاد مراكش بعلمه ونبله، وهو نقيب الاشراف الطوبين وسليل مولاي اسماعيل وابن عم السلطان محمد بن يوسف . عنوان الكتاب ملخص لفحواه وهو تاريخ مكناس ومن نبغ فيها من رجال سياسة وعلم وادب . الجزء الاول منه مصدر بمقدمة تبحث في علم التاريخ ومباديه ، وفيه من ثمّ شتى الفصول في مكناس واسمها وموقعها وظواهرها ومساجدها

وحماماتها ودورها ودكاكينها ومعاصرها العلمية ومدافنها ، مع كثير من الاستطرادات والفوائد يأتي عليها المؤلف في سياق الحديث مستندًا الى الروا والمحدثين مجتهدًا في التوفيق بين اقوالهم، أكانت او لم تكن لتثبت على محك النقد التاريخي الحديث كالكلام في اصل البربر، وحكاية اتصال وفدهم بعمرو ابن العاص في مصر (ص ٢١ و٦٥) والتقائهم « بذي القرنين عند مغرب الشمس» ومن المعلوم ان الاسكندر لم يبلغ في رحلاته بلاد المغرب . انما هي الآيـ القرآنية اوحت الى المؤلف استطراده (سورة الكهف ١٨ : ٨٢) .

واعجب من ذلك كلامه في تحليل لفظة نصارى فقال (ص ٤٨) : النصارى جمع نصران كالنـدامى جمع ندمان ونصران صفة مشبهة كعطشان وسكران (كذا) . وقد يعول على بعض الكتبة الافرنج في بعض رواياتـه ، لكنه يذكر في ما اعتمد عليه من الكتب سوى المؤلفات العربية . والمؤلف بحظـ حافل بتراجم السلاطين والامراء والاعيان والعلماء المنتسبين الى مكناس مرتبـ اسماؤهم على الابجديـة . وقد توسع المؤلف في ذكر ادريس عبدالله ، ومولاي اسماعيل ، ومولاي الحسن السلطان ، ومولاي احمد الطوي وغيرهم ممن اثروا في مصير البلاد وكانت لهم المكانة العليا في تاريخها ، وعلى الاخص في العصر الاخيرين اذ كثر الاحتكاك بين الافرنج والمغرب الى ان دخلت البـلاد الحماية الافرنسية . والكتاب مزين بالرسوم العديدة ، وبعضها غاية في الاتقان ومكتظ بالوثائق التاريخية والرسائل السياسية وقد صور الكثير منها مما يزيد قيمة في اعين العلماء . وكلا المجلدين مذيل بفهارس عديـدة تسهل المطالـ وتقرب المواد طبقًا للاسلوب العلمي الحديث . وبالاجمال فقد رأينا الكتاب مـ خيرة ما ظهر من امثاله بالعربية في السنوات الاخيرة فنتقدم لمؤلفه بعبارات الشكـ على هديته والاعجاب بسعة معارفه ، ونتمنى له العمر الطويل فيأتي على تكـ المشروع الذي ابتدأه ، وقـد وعدنا بالجزء الثالث ، واوله الحسن بن عطيـ الونشريسي .

ف . ت .

حقائق ودقائق ، وهو مختارات العرفان

لاحمد عارف الزين

الجزء الاول ، مطبعة العرفان ، صيدا ١٣٤٩هـ. ١٩٣١م. ص ٢٣٠ قطع ١٦ صغير

طالعنا هذا الكتاب فالفيناه ، على صغر حجمه ، لذيذ المطالعة متقن الطبع ، الا بعض صوره ، وهو كما وصفه جامعه حاوٍ لاثنتي عشرة مقالة من اهم ما رآه صاحب العرفان جديراً بان يلفت الانظار بمنافعه ومحاسنه . ومما راقنا فيه الفصل في حوادث الامير فيصل في الحرب الكبرى اخذاً عن الانكليزية (ص ١٢١–١٩٢) والمقالة في الحرب (ص ٣٠٣-٣٠٨) ، وهي معربة ايضاً . والقصيدة في وادي السلام للشيخ علي الشرقي (ص ٣١٣) ف. ت.

انفس ما كتب نابليون

رسائل وخطب وانباء رسمية عن اعمال جيشه العظيم

تعريب المحامي انطون بيبن – مطبعة صادر ، بيروت ١٩٣٠ ص ١٤١ ، قطع صغير

للعرب فضل في وضع الكتب المدرسية ، وتقريب مناهل صفوة ما وضعه الافرنج تثقيفاً للذهن وتهذيباً للاخلاق ، وهذا الكتاب الجديد جدير بان يوضع بين ايدي الناشئة ، وفيه الفوائد التاريخية والاقوال السامية الناهضة بالهمم الى اقتحام المشاق وتذليل الصعاب في سبيل العلاء. ف. ت.

* مكتبة يوسف اليان سركيس واولاده – بشارع الفجالة ، مصر ، ١٩٣١ ، مطبعة رعميس * اول ما لفت نظرنا في هذا الكراس هو بشرى تتمة الكتاب الجليل « معجم المطبوعات العربية والمعربة » الشامل لاسماء الكتب المطبوعة في الاقطار الشرقية والغربية وقد ذكره المشرق مراراً ، وقفنا الله الى وفائه حقه من النقد والتقريظ ، قريباً .

وفي الكراس ايضاً فهرس الكتب القديمة والحديثة ، الموجودة في المكتبة ، في جميع الفنون ، مع ذكر اسعارها . وفيه ايضاً الاعلان بظهور كتاب جديد وهو : جامع التصانيف الحديثة للمؤلف ذاته .

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ شباط — ١٥ اذار ١٩٣١

لبنان وسوريا — لم يُتوصل الى التوفيق بين المنتخَبين بطريركين ارثوذكسيين ، على رغم المساعي العديدة التي بذلها الكثيرون من عقلاء الطائفة. وقد وصل المطران خريستوس موفداً من قبل البطاركة الثلاثة القسطنطيني والاسكندري والاورشليمي فدرس امكانية الاتفاق ، وقابل عدداً كبيراً من رجال الحزبين ، ولم تظهر النتيجة بعد.

* كشفت دائرة الامن العام في لبنان مركزاً للشيوعيين في بيروت ، يُصدر جريدة عنوانها « الفجر الاحمر الدامي » ، فضبط المركز وأُحيل اربابه الى القضاء وكلهم من الارمن ما عدا الترجمان فهو لبناني من البترون.

مصر — افتُتح في ١٥ شباط المعرض الزراعي الصناعي ، افتتحه الملك فؤاد الاول بحضور لجنة المعرض ، ومجلس ادارة الجمعية الزراعية الملكية ، والمندوب السامي ، وكثير من الامراء والوزراء وكبار رجال الاعمال.

* زار مصر الشيخ محمد الجسر ، رئيس المجلس النيابي اللبناني ، وحظي بالمثول لدى جناب الجلالة الملك فؤاد . وقد اقام له اللبنانيون المتمصرون مأدبة كبيرة تكلّم فيها الكثيرون من الادباء والشعراء.

شرقي الاردن — ذكرت «فلسطين» ان اكثر من ٧٠٠ شخص من ارثوذكس « سماوة » التابعة للصلت في شرقي الاردن اعتنقوا الدين الكاثوليكي.

* خفضت مرتبات الرئيس والوزراء والمديرين ٢٥٪ . وستخفض بقية المرتبات على هذه النسبة الّا ما كان منها دون ١٠٠ جنيهات.

الهند — تمّ الاتفاق بين غاندي واللورد اروين على شروط موافقة للطرفين منها العفو عن المعتقلين السياسيين ، واباحة عمل الملح في السواحل.

* يُستفاد من الاحصاء الجديد الذي تمّ في شباط ان عدد سكان الهند يزيد قليلاً على ٣٥١ مليوناً ونصف المليون ، وكان سنة ١٩٢١ ، ٣١٩ مليوناً.